كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وإفهم
روايات إيمانية

غروب

إهـــــــداء ٢٠٠٩

كنيسة القديسين مار مرقس الرسول و البابا بطرس خاتم الشهداء

جمهورية مصر العربية

كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ و إفهم
روايات إيمانية



(الخروف الذى ضلّ وتاه)

الفصل الأول : وداعاً أيتها الحياة

حدث ذات ليلة أن ودعت ليلى هذه الحياة ..

إنها ليلة من ليالى الشتاء .. والليل يرخى سدوله على الربوع ، والهجوع يُلقى بسكونه على الجموع ... البعض يسعدون بأحلامهم الجميلة والبعض تزعجهم أحلامهم ، والبعض يغضون فى نوم عميق لا يدرون أن كانوا يحلمون أو لا يحلمون .. الا أن الجميع يشتركون فى أنهم تحت سلطان الموت..الموت القصير.

وفى منزل من منازل المدينة العظمى رقدت الشابة الجميلة ليلى لكنها لم تجد نوماً ولم ترى حلماً ... لقد خاصمها النوم وجافتها الراحة لذلك تجدها تتقلب على فراشها وهى لا تدرى أهذه فراش أم أشواك ؟!

ولا عجب فهذه طبيعة أشواك الخطية..الخطية التى نسجت ثوبا كثيفا من الظلمة ، ارتدته ليلى ليستر عُريها ، فإذ به يفقدها بصيرتها ، ويسلبها أرادتها ، وهى لا تملك الا أن تطيع وتطيع ... تطيع سيدها القاسى المتسلط وتسرع فى تنفيذ رغباته .. ولم تعد ليلى إلا قطعة فى لوحة شطرنج يحركها كيفما ووقتما شاء وأراد .

آه .. لقد أضناها سهاد الليل ، والأفكار تقبض عليها .. تتنازعها وتصرعها ... تلفُ رأسها وتُديرها مثل كرة في ملعب الشياطين..

أما المسكينة فقد فقدت سيطرتها على عاطفتها الملتهبة .

أنه اليوم الأخير ...

اليوم الأخير لليلى فى هذا المنزل الذى شهد طفولتها وصبوتها وشبابها ... استقرت قليلا علـى فراشها وراح شريط حياتها يعرض ذكرياتها .

طفولتى المدللة الأنانية ... ولا عجب فالأنانية هى البنت الشرعية للتدليل ، وقد ذكىّ هذا التدليل جمالى وذكائى ودهائى ... كلما اختلفت مع أخواتى ليليان ولمياء وأخى لمعى استطعت أن أبرر ذاتى ، وأدين غيرى ، وأكسب رضا أمى .

أما أبى شاكر المهندس الطيب الذى عمل فى مجال التجارة فكم أغدق لى من العطاء ، وطلباتى لم يردها قط ... كان يكفيه القليل من دلالى فيوافينى رغباتى ... اعتدت هذه الحياة السهلة ، فكل ما أتمناه أحققه بسهولة ويسر ... ما أكثر اللعُب والهدايا والحيوانات الأليفة التى طلبتها فوجدتها ؟!! لم تصادفنى مشكلة تذكر فى طفولتى غير غيرتى من دميانة أبنة عمتى التى فاقتنى جمالا

وكمالا وعلما ومحبة للمسيح ... كم تعبت دميانة من أجلى ؟! وكم حاولت جذبى إلى الكنيسة ؟! ولكن دون جدوى .

وأقبلت مرحلة الصبا عندما أحسست بنوع من الحرمان ... حرمان لم يقوى مال " بابى " على سده ، كما أن تدليله لى لم يعد يُشبعنى .. شعرت أن الحياة ليست لعب وهدايا وفسح وحيوانات أليفة ، فهوذا الحرمان النفسى والروحى زحف إلى حياتى ، وألقى بظلاله الكئيبة على يومى .

بدأت أشعر بميل شديد للجنس الأخر يجتاح حياتى ، ولمْ أجرؤ أن أسوق دلالى على " بابى " لكيما يشترى لي صديقاً .. اقتربت أكثر فأكثر من صديقى " نادر " فحسدنى الزملاء والزميلات ، وكلما حاولنا التنحية جانبا وجدنا العيون تكيل لنا الاتهامات .. أما حسد " نجلاء " فقد فاق حسدهم جميعا ...لقد تجرأت وبثت ما بداخلها للست الناظرة الشرسة التى بترت بسلاح التهديد هذه العلاقة البريئة ، ولم تلتفت إلى الجوع العاطفى للذى كان يجول داخل غابة حياتى ويعوى .. لم أجد تسليتى إلا مع أفلام الفيديو التى اكتظت بالمغامرات والجنس .. لقد عشت معها وعايشتها وعشقت أبطالها ، وأمضيت معهم أجمل أحلام اليقظة .

وفى مرحلة الثانوية إستعدت اتزاني بعض الشيء بفضل الزيارات المتكررة لدميانة وتشجيعها المستمر لى .. حاولت إثبات ذاتى ، وبذلت قصارى جهدى... ضحيت بالكثير من راحتى وتسليتى حتى التحقت بكلية الآداب .

دخلت المرحلة الجامعية .. مرحلة الانطلاق من ذاتى .. أصدقائي وصديقاتى إنتزعت إعجابهم وجذبت إنتباههم ، وذلك بفضل جمالى ولباقتى وثقتى فى نفسى .. حقا كنت ألهث وراء كل ما هو جديد من الملابس وأنواع البارفنات . كنت أستميت فى إبراز مفاتن جسدى تارة بالملابس الضيقة وتارة بالملابس شبه العارية ، وكان مقياس نجاحى مقدار العيون المنبهرة بمظهرى، حتى الأحذية نالت منى اهتماما فاق إهتمامي بروحى واتصالي بربى .. نعم حقا أننى لم أذهب إلى الكنيسة إلا فى المناسبات .. ليالى الأعياد والأفراح والجنازات ..

آووه يا ليلتاه ، وهل هذا وقته؟ ما لنا والحياة الروحية وما يسمونه بعقائد غامضة تغلف المسيحية .. وهل تصلح لأيامنا هذه ؟!! إنها ديانة السمو والمثالية النظرية أما نحن ...

كنت أجوز من عام إلى عام رغم قلة اهتمامي بدارستى .. هذا بفضل دهائى وغشى فى الامتحانات كلما سنحت الفرصة لذلك ..

كنت أمضى معظم وقت الدراسة فى فناء الكلية والكافتيريا حيث أجد فرصتى معه ويحلو الحديث بيننا ...أما فى الرحلات فقد لبست جناحا الصبح وانطلقت من ذاتى ، ولولا هذه الرحلات لما توثقت علاقتى به .. فى حدائق المنتزة ..حديقة الحيوان .. الشلالات .. الحديقة الدولية .. حديقة الغابات ... قلعة قايتباى .. رشيد .. العلمين .. مراقيا .. مارينا .. القاهرة .. كل مكان له فى قلبى ذكرى وذكريات ، وكل خطوة كانت تزيد من إرتباطى به.

لقد عشنا فى الجنة مثلما عاش أبوينا آدم وحواء .. كان الحب طعامنا وحديثه شرابنا ودفئه ملبسنا ... نظرات الأصدقاء تحدّيناها ، وكل خلاف نشأ بيننا تخطيناه ، حتى اختلافي معه فى العقيدة أسقطته من الحسبان ، وعندما كان يثور ضميرى داخلى كنت أسكته .. لقد أدبته ودربته لكيما يكون مثل كلبى الأليف الذى لا يعارضنى ولا يقلقنى ، وتقريبا قد مات ..

أما هو فقد صار كل شىء لى .. حبى .. أملى .. حياتى .. صورته تحاصرنى وتحصرنى .. أنه ليس مثل أى إنسان ، وتقريبا ليس هو بإنسان ، ربما يكون ملاك هبط من السماء لأجلى .. يا للطفه وحبه .. أحاسيسه ومشاعره .. خفة دمه

ونبضات قلبه ..كلماتـه وتصرفاتـه .. أنـه السعادة متجسمة فـى حياتـى .. إن لم أذهب معه ذهبت حياتى للجحيم .

صوته ملئ آذاني .. أصوات الدنيا وضجيجها تتضائل أمام صوته الحاني .. فعندما تهتز شجرة حياتى تـأتينى نـبرات صوتـه الموسيقية " يا ليلتى .. أنت قمرتـى فـى ظلمتـى " فـأعود للفـور إلى اتزاني ونشوتى وفرحتى .. واحسد نفسـى عليـه .. أنـه معى فى كل زمان ومكان حتى الآن أستطيع أن أراه وأسمعه والمسه..

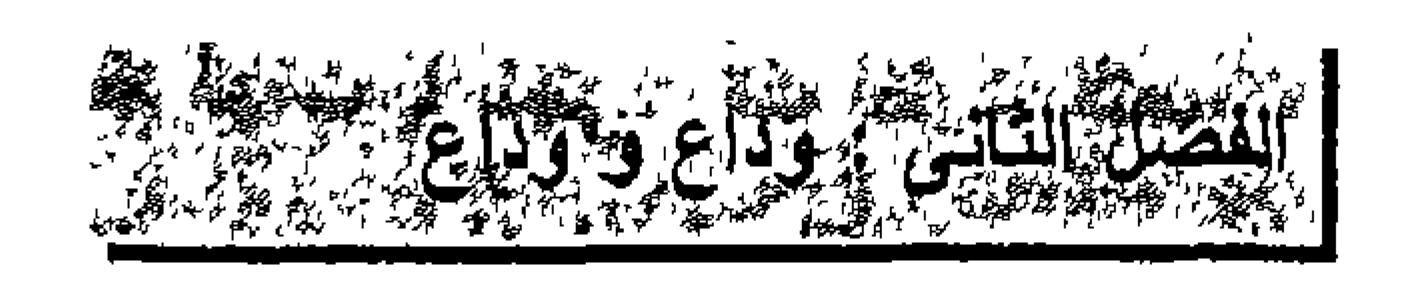
وهنا سمعت ليلـى صوتـاً يتحـدث إليهـا .. أرهفـت السـمع وتسألت .. من أين هذا الصوت ؟ أنه صوت قادم مـن الأعمـاق .. صوت الضمير الذى أودعه الخالق فى الإنسان :

آه يا بنيتى بدمع العين أبكيك ، وبدم القلب أرثيك ..

لقد سقطت أيتها المسكينة فى شباك السيد القاسى الذى لا يرحم .. لقد ألقى شعلة نيرانه الجهنمية فأصـاب صميم فـؤادك.... جسدك ..عقلك .. ميولك .. وكل شئ ..

لقد سقاك كأس الخداع فصـارت جميع الحقائق مقلوبـة أمـامك .. المسيحية هى الديانة النظرية التـى لا تصلـح لعالمنـا هذا ، وحب المسيح وآلامه ضرب من الخيال ؟!!

لقد قلب الحب المجنون كل الحقائق فى عينيك ، حتى صار الذئب المفترس حملا وديعا ،وأصبح الشرير الخاطف ملاكاً هادئاً وديعاً
ألا تعلمين أن الشيطان قادر على الظهور فى شكل ملاك نورانى ، وقادر أن يطفىء على أحد أتباعه طيف الملائكة ؟!
يا ليتك تدركين ما تخفيه هذه البسمة الساحرة من أنياب شرسة تتلهف لنهش حياتك ، وما يُخفيه هذا الصوت الحنون من وحشية شيطانية تتطلع إلى تدميرك.. أنت يا ابنتى .. ما أنت إلا فريسة حلوة فى يده الـ ...
من يستطيع أن يكشف عن عينيك ؟!
من يقدر أن يرفع ثوب الظلمة الذى التحفت به ؟
لا.. لا أحد يستطيع ولا أحد يقدر .. لماذا ؟ لأن الله المحب لن يقتحم حياتك رغماً عنك ... أنه يحترم حريتك الشخصية ..
أما أنت .. فصوت الضمير أسكتيه، ونور الروح القدس أطفئتيه..
عادت ليلى تتقلب على أشواكها وقالت : المهم أننى وصلت إلى مرحلة اللاعودة..
لابد أن أودع هذه الحياة .. الحياة القاسية التى تفصلنى عنه ..
بعد قليل سأرحل ...
قبل ضوء الصباح سأذهب ...



في ذات الليلة كانت دميانة (أبنة عمة ليلى) قد قررت توديع هذه الحياة ايضاً .. وربما لم تتذوق طعم النوم خلال هذه الليلة..

عجبا .. ما هذا يا دميانة ؟! ولماذا ؟! وإلى أين ؟!

هل هويت وأشتهيت وأحببت فسقطت مثل .. ؟ ومن هو حبيبك الذى بعت له جمالك وكمالك ..حبك وكل حياتك ؟

همست دميانة فى أذني :

حقاً أننى هويت وأحببت ولكن ما سقطت ولا إنحرفت ..بعت جمالى وكمالى .. حبى وحياتى لمن دفع الثمن ..

قلت : من هو يا فتاتى ؟ وهل دفع الثمن العادل الذى يساوى جمالك وكمالك .. علمك وفنك .. وأنت خريجة الفنون الجميلة بدرجة إمتياز ؟

قالت : الحقيقة أن الصفقة غير عادلة على الأطلاق ..فأنا لا أساوى أبداً جزء يسير من الثمن الذى دفعه لأجلى ..أنا مديونة له بحبه الذى يغمرنى .. لا أستحق هذا الحب الذى ما بعده حب .. لا أحسب نفسى مستأهلة أن أقترب من قلبه الذى ينزف حبا .

قلت : آه .لقد فهمت يا بنيتى.. أنك أخترت النصيب الصالح الذى لا ينزع منك .. أنك ربطت نفسك بالثابت وحده الذى لا يتغير ولا يزول .. كل ما عداه متغير وزائل .. المال والجمال .. اللذات والشهوات .. الحسب والنسب .. القوة والسلطة .. الشهرة والعلم .. ومن لا يفهم الآن حتما سيفهم عند نهاية دربه .

غُصت فى أفكارى أقارن بين وداع .. ووداع، وبين سهر .. وسهر ، بينما همس دميانة ينبثق من حجرتها .. لقد سقط الزمن من حساباتها ، وتناست جسدها المنتصب منذ ساعات ، وصارا ساقيها كعمودا نحاس لا تتحركان .. راحت تناجى عريسها السماوى من خلال صلاة نصف الليل ، وتحُرض نفسها على السهر واليقظة : " ها هوذا الختن (العريس) يأتى فى منتصف الليل طوبى للعبد الذى يجده مستيقظا .. تفهمى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب ، وأستيقظى وأضيىء مصباحك بزيت البهجة " ..

إنها تنسكب أمام الحبيب بمشاعر المرأة الخاطئة " إجعلنى مستحقة أن أبلل قدميك اللتين أعتقتانى من طريق الضلالة " .. تفرح بالملكوت " لا تخف أيها القطيع الصغير فإن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت " وتخشى أن يضيع منها فتصرخ إلى حبيبها " بعين متحننة يارب أنظر إلى ضعفى فعما قليل تفنى حياتى ،

وبأعمالى ليس لى خلاص . أنظر إلى ضعفى ، وذلـى ، ومسكنتى ، وغربتى ، ونجنى .. أشفق على أيها المخلص "

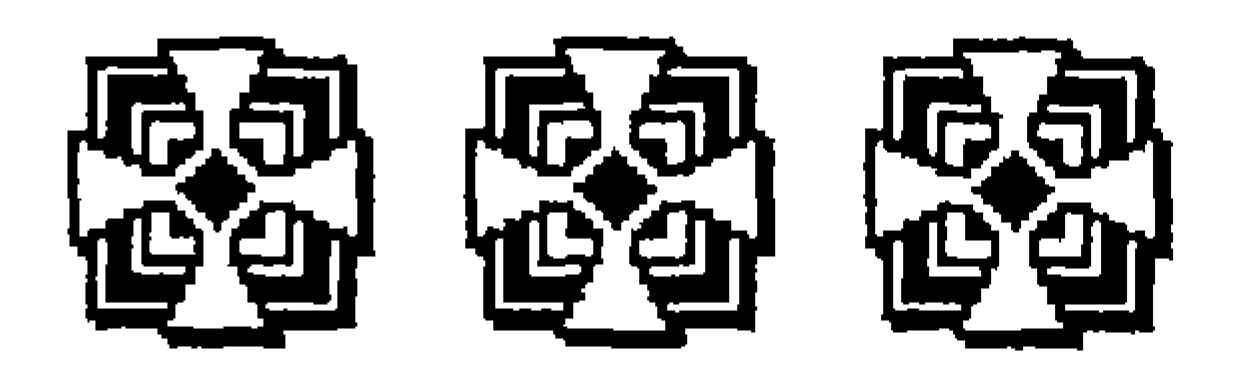
ثم بدأت صلوات التسبحة بألحانها العذبة الحلوة ..أنها تشعر بالسمو والأرتفاع وكأن أقدامها لا تلمسا الأرض .. أنها تسبح فى الروحيات ، وتهيم حباً بعريسها الذى **غرّبها** عن الأرض والأرضيات ، وفتح لها باب السماء .. هو كائن معها وهى تطلبة بدموع غزيرة لكيما يكون رفيق الأبد .

إنتهت التسبحة وجلست تأكل ، وتلتهم كلام الحبيب .. وجدت كلامك مثل الشهد فأكلته .. واخيراً أرادت أن تمنح هذا الجسد فترة راحة قليلة ، وهى الراحة الأخيرة فى هذا المكان الذى عاشت فيه طفولتها وصبوتها وشبابها .. لذلك تزاحمت الذكريات ، وتشابكت الأفكار ، واختلجت المشاعر والعواطف .. تتأمل كل أمور حياتها وتشكر الله الذى تعهدها ورعاها ودعاها إلى شركة الملائكة ..

لقد دبر الله لها منذ فجر حياتها أب الإعتراف والمرشد المحنك " القس حنا حكيم " الذى قادها عبر دروب الحياة ، وظلل عليها بصلواته المذبحية ، وأنار لها طريق النساك **بإرشاداته** الإنجيلية .. أيضاً راحت دميانة تتذكر كل من تعبوا من أجلها ..

والديها ، وأخواتها فى الجسد وفى الروح ، وبناتها فى الخدمة ، ورفعت قلبها بصلاة حارة من أجلهم ..

ولكن أكثر ما طغى على مشاعرها أن هذا هو اليوم الأخير فى سجن هذا العالم أنه يذكرها باليوم الأخير فى عمرها .. بعد ساعات قليلة ستنطلق إلى الدير حيث الحرية من كل قيد وإرتباط .. حيث التحرر من الكل والأرتباط بالواحد .. حيث أصوات التسبيح ونغمات الملائكة .. حيث دموع الناسكات العابدات العذارى الحكيمات .. حيث الهدوء والسكون فالكلمات تتحول إلى همسات ، والهمسات تتحول إلى صمت ، والصمت يتحول إلى صلاة .



الفصل الثالث : الخروج من ذي الحياة

خروج .. وخروج

والفارق بينهما شاسع بما لايقاس..

الخروج الأول .. هو صعود ، يندلف من بابه الضيق العذارى الحكيمات إلى مرتفعات الفضائل ، وقمم الروحيات .. إنه سمو يصل إلى السماء ، وإرتفاع يرتفع إلى الملكوت .

هكذا كان خروج دميانة.

أما الخروج الثانى .فما أوسع بابه ؟!

أنه يفضى بالإنسان إلى أمواج بحر هادر غاضب ..هذه الأمواج التى لا ترحم . إنما تلطم الإنسان وتدمره وتقوده إلى الهلاك .

وهوذا ليلى قد عقدت العزم على الخروج الثانى

الساعة تقترب من الرابعة صباحا ،وليلى فى لهفتها وخيبتها تنتظر إشارة الرحيل .. جاء صوته فى صورة صفير خفيف أخذ شكل حفيف الريح حتى أنه يصعب على الشخص أن يُشخص هذا الصوت على أنه صوت " نداء الهلاك "ولكن ليلى تفهم وتعى هذا جيدا .. قفز قلبها ، وأرادت أن تقفز من سريرها أو تطير عبر

النافذة وتهبط إليه ، ولكن حدث أمر مدهش إذ عاد الصوت الخفى يحادثها محاولاً منعها من الرحيل .. يلح عليها لتبقى فى بيتها وتبتعد عن المجهول .. أخذ الصوت يتودد إليها وعندما وجدها متبلدة بدأ يحتد عليها .. أدركت ليلى أنه صوت الضمير الذى ظنت أنه مات .. هل قام من رقاده ؟! وبهذه القوة ؟!

بذلت ليلى قوة مضاعفة جبارة لتسكت هذا الصوت ثم إنسلت من فراشها فى هدوء وصمت وشقت طريقها فى ظلمة الليل البهيم لا تريد أن تضىء ضوءاً لئلا ينكشف طريق الظلام الذى وضعت أقدامها على أعتابه .. شعرت بالأم تتقلب على فراشها .. أنه قلب الأم .. فزعت ليلى من أمها !!

إندلفت إلى الحمام ، إرتدت سريعا ملابس الخروج .. ماذا يحدث ؟ أنها تترنح وتكاد تفقد إتزانها ..

تحاملت على نفسها وقد حملت كل مشغولاتها الذهبية تنفيذاً لوصية الحبيب الوفى وتحسباً للأيام .. قطعت الخطوات نحو الباب محتفظة بهدوءها الذى يخفى ثورة عارمة تجتاح أعماقها .

فتحت الباب وانزلقت خارجاً .. هبطت أدراج السلالم علىأطراف أصابعها .. أنه الهبوط إلى الهاوية . . تركت حصن الأمان ، وبعد خطوات قليلة وجدت باب السيارة " اللادا " الزرقاء

مفتوحاً فـألقت بنفسـها على المقعد الأمـامى.. كـان هنـاك سـيارة أخـرى " نصـر ١٢٧ " حمـراء يربض بهـا الصديقـان " وسـيم " و " باسم " اللذان كانا يغطيان الموقف ، ويستعدان للأشتباك مع أى شخص تسول له نفسـه ان يعيق ليلـى من الهـرب ، وعندمـا أطمأنا أن الصياد قد أفلت بالفريسة عادا أدراجهما مـن حيث أتيا .. أنطلقت السيارة بليلى ، وأيقظ صوتها الأم ، ولا سـيما أنـه قـد تهيأ لـها أنها سمعت حركـة بـاب الشـقة .. فنهضت مـن فراشـها تستكشف الحدث ولكن بعد فوات الأوان .

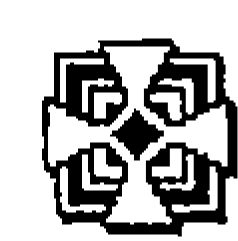
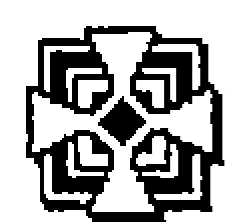
أخذت السيارة طريقها نحو شارع الكورنيش .. تنفست ليلـى الصعداء .. أنتابتهـا مشـاعر الخـوف والزهـو .. الخـوف مـن المجهول .. هل ستنجح فى مغامرتهـا ؟ هـوذا كـل شـىء قد أُعد جيدا .. الشـقة المتسعة المؤثثة بـأجمل وأحلـى أنـواع الأثـاث .. الأحلام الوردية ، والفردوس المفقود .. أمـا مشـاعر الزهـو فقد كانت أقوى وأشد ..أنها أنتصـرت فـى قصـة حبهـا بعد أن تحـدت الكل ، وبعبقريـة فـذة رسـمت خطـة هروبهـا وغلفتهـا بالسـرية التامـة..

أدرك هو ما يجول فى خاطرها فتركها فى نشـوتها أو قـل أنـه قد أستراحت أحشـائه بالصيد الثمين .. مرت فـترة صمـت قطعتهـا

بضحكة عالية ، وارتفع صوتها الرنان .. لقد عادت من بلدة الأفكار .. ايضا انطلق صوت المغنى يغنى أغانى الحب والهيام من كاسيت السيارة ، فاختلطت الأغانى بالتعليقات مع الضحكات .. الطريق الخالى يغوى " هيثم " بالسرعة الجنونية . لقد تصور نفسه الفارس المغوار الذى أختطف عروسه علىظهر حصانه الأبيض وطار .. سيطرت عليه مشاعر النشوة والنصرة وأخذ قلبه يرقص طرباً ، ونظراته ما زالت متعلقه بالصيد الثمين ..

طاخ ..طاخ..

إنقطعت الضحكات وكفت الكلمات وصمتت الأصوات صمت الموت .. ماذا حدث ؟!!



الفصل الرابع .. هل تعودين ؟!

فى الاتجاه المضاد كانت قادمة سيارة " سيات " يستقلها الاستاذ " سدراك " مع ابنته " ميرا " التى لم تتجاوز السادسة من عمرها .. من أين أتيا وإلى أين يذهبان فى هذه الساعة ؟

لقد اتيا من منزلهما قاصدين كنيسه السيده العذراء مريم لحضور القداس الاول فاليوم هو الأحد الثالث من كيهك ... وهذا اليوم تذكار زيارة العذراء لأليصابات ، والأستاذ سدراك يسبح مع ابنته ميرا :

خطرت حمامة فى بيت ذكريا .. فى اذيالها اعطت سلام .. فخرجت ذات العقورية .. **للقاء والدة منشىء الانام**

ورغم ان الطريق كان خالياً إلا أن الأستاذ سدراك كالعادة كان يقود السيارة بتؤدة وهدوء . وفجأه وجد سيارة تندفع نحوه من الاتجاه المضاد .. حاول تفاديها والبعد عنها ، ولكن السيارة المجنونه لم ترحمه اذ اطاحت بسيارته التى تهشمت ، ثم اندفعت تلك السيارة نحو الرصيف ومحطة الأتوبيس لتتهشم هى أيضاً .. أصيب سدراك اصابات

بالغة حتى انه لم يستطع ان ينطق بكلمة ليطمئن ابنته التى لم يصيبها مكروه غير الفزع والهلع .. لقد كان المنظر قاسياً للغاية على نفس ميرا التى تنظر الدماء تنزف من ابيها وهو يتأوه ولا تعَرف ماذا تفعل غير البكاء والصراخ : بابا .. بابا .. أنت بخير يا بابا ؟ رد على يا بابا .. أنا بحبك يا بابا ...

تباً لك يا هيثم آلا يكفيك الطريق الخال تماماً من السيارات حتى ان السيارة الوحيدة التى تلقاها تطيح بها هكذا ؟!!

لم تجد ميرا من تستغيث به ، فأخذت تصرخ وتستغيث بالعالم الاخر الذى ليس ببعيد عنا : ياماما .. يا ماما العدره .. انقذى بابا .. بابا هيموت يا ماما العدره .. لم تحتمل الام الحنون صرخات ميرا ، ولم تقوى على تجاهل تلك النداءات فظهرت فى نور وبهاء عظيم تُطمئن الصغيرة :
" لا تخافى يا ميرا .. سأرسل على الفور سيارة الاسعاف .. بابا سيذهب للمستشفى وسيشفى " .

اما سيارة هيثم فقد سالت فيها الدماء غزيرة متدفقة حتى ان دماء ليلى اختلطت بدمائه .. لقد اندفع اطار القيادة نحو

صدره ، مع اصابة بالغة بقدمه اليمنى .. غاب هيثم عن وعيه ، وليلى تحاول الخروج من السيارة ولكنها لاتقوى على فتح الباب .. امتزجت دمائها بدموعها بأنينها.. تريد ان تستغيث ولكن صوتها قد وهن ولم يعد يسمع فى الأجواء .. ادركت ان شبح الموت يطاردهما ، وانها النهاية المأساوية .

اقبلت سيارة الاسعاف ، واندهشت ليلى .. من الذى أبلغ هذه السيارة ؟ وكيف أتت بهذه السرعة !!

حمل رجال الاسعاف سدراك ، وهيثم ، وليلى ، وسارت ميرا بجوار ابيها .. وسريعاً وصلت السيارة إلى المستشفى .

وبعد لحظات مر على مكان الحادث والد ليلى واخيها وخالها .. كيف حضروا إلى هذا المكان فى هذه الساعة ؟

انه قلب الام الذى احس بخروج ليلى من حياتها .. الأم التى ايقظت كل من فى البيت ، واتصلت تليفونياً بأخيها اسحق الذى حضر على الفور بسيارته ، كما قامت الاختان ليليان ولمياء بتحديد مواصفات الخاطف عريس الغفله . انه صاحب سيارة نصر ١٢٧ حمراء .. فقد سمعاها تهمس بهذا

فـى التليفـون ، وعنـدمـا واجـهاهـا بـهذا انكـرت عليـهمــا ذلـك ..
انــه هيثم صـديق الـدراسـه ..
عـاينـوا الحـادث وتبـادلـوا الحـديث ..
الأخ : هـذه الحـادثـة بعيـدة عـن ليلـى لان هـذه السيـارة " لادا "
زرقـاء بينمـا نحـن نبحث عـن سيـارة " نصـر ١٢٧ أ " حمـراء
الأب : ليـس مـن المعقـول ان تكـون هـذه دمـاء ابنتـى .
الخـال : تعـالـوا نتجـه إلى مستشفـى استقبـال الحـوادث فـى هـذه
الليلـه الغبـراء
وصلـوا إلى المستشفـى وسـألـوا عـن فتـاة تـدعـى ليلــى شـاكـر
جـاءت اثـر تصـادم سيارة .. قـالـوا لــهم : لقـد وصـل منـذ
لحظـات شـاب فـاقـد الـوعـى مـع اختـه " عبلـة بكـر " هـل تـريدون
مشـا هـدتـها ؟
قـال الأب : كفـانـا وجـع قلـب .. لنتجـه إلى شقـة صديقتـها .
انصرفــوا ولــم يشعــر شـاكــر بـــأن ابنتــه داخـــل هــذه
المستشفـى ، وانــها بـدهـاء بـالـغ وخبـث قـد غيـرت اسمــها مـن
ليلـى إلى عبلة ، وكـذبـت وادعـت ان المصـاب اخيـها ..
طـاف الثـلاثـة ارجـاء المـدينـة .. طـرقـوا الأبـواب .. بحثـوا فــى
الشـوارع وكلمــا نظـروا سيارة بــهذه المـواصفـات جـدّوا فـــى

إثرها وسريعاً ما تتبخر آمالهم .. الأخ لمعى يحترق بنيران الغضب ، والأب تأكله الحسرة ، والخال يتمنى لو إنه سمع نبأ موتها لكان افضل من هذا الوضع الشائن ..

بعد ساعات طويلة عادوا إلى المنزل لعل وعسى يجدونها قد عادت ، ولكنهم لم يجدوا إلا أم مكلومة لا تكف عن الولولة ، واختان تفيضن الحسرة على وجهيهما .

فى المستشفى اجروا الاسعافات اللازمة لوقف نزيف عبلة ، وطلبوا منها أى رقم تليفونى ليتصلوا بأهلها فتعللت بأنها نسيت كل ارقام التليفونات .. اتصلت المستشفى بأهل هيثم بكر عن طريق الرقم التليفونى المحتفظ به فى حافظته يخبرونهم بما حدث له ولاخته عبلة ..

صرخت امه واسرعت للمستشفى مع اخته " عديلة "وهى تولول :

آه ياابنى .. ماذا حدث وماذا جرى لك ؟

كنت أنتظرك مع عروسك ..

لمحت الأم ليلى ملقاة على سريرها مثل الكلب الجريح الذى ليس له صاحب ولا حبيب .. احتضنتها قائله : ليلى ..أين هيثم ؟

همست ليلى فى اذنها انها ليست بليلى لكنها عبلة ابنتها .. فهمت الأم ، أما " عديلة " شقيقة هيثم فلم تقوى على كبت مشاعرها فأطلقت نظرات الإتهام لليلى ولسانها يقول " أنت وش النحس على اخويا " .. الأم متلهفه لرؤيه ابنها الذى يرقد فى حجرة العمليات بلا وعى .. وجاءت الأخبار السيئة شيئاً فشيئاً .. نزيف حاد فى الصدر وتجرى المحاولات لايقافه .. كسر بالذراع الأيمن وسيتم وضعه فى الجبس .. الرجل اليمنى قد بترت تحت الركبه .. الأم فى حاله إنهيار لاتكف عن البكاء والعويل ، وعديلة تنظر شذراً لعبلة المحطمة من الخارج والداخل ، وتريد ان تقول لها : فلتذهبى إلى الجحيم ايتها العاهرة .

إقتربت ميرا من ليلى تريد ان تطمئن عليها .. ربتّت ليلى عليها مقدمة اعتذارها لما حدث لأبيها .. اخذت تلاطفها ، ثم سألتها : يا ميرا عقب الحادث أبصرت نوراً أبرق فى سيارتكم .. هل هذا حدث فعلاً ؟

ميرا : نعم .. انها ماما العذراء التى جاءت عندما ناديتها .. وهى التى ارسلت لنا سيارة الاسعاف .

خافت ليلى وارتعدت فرائصها ، وشعرت بأن قلبها يضربها، وضميرها يوخذها ، والصوت الخفى يناديها بصوت اسيف يا ابنتى .. هل تعودين ؟

هل تعودى من الموت إلى الحياة؟

هل تلقين بنفسك فى احضانى فأضمد جراحاتك واوقف نزيف حياتك ؟

قالت ليلى : كيف أعود ؟ كيف أعود الآن وأتخلى عن حبيبى وحياتى ؟ كيف أخون الأمانه ؟ كيف أتركه وهو فى شدة الاحتياج لى ؟

وبهذه الاحتجاجات قهرت ليلى ضميرها ، ورفضت صوت الروح واستمرت فى عنادها .

فى مساء اليوم كان هيثم قد عاد إلى وعيه ، وفتح عينيه على وجه ليلى المضمّد حتى أن ما يختفى منه تحت الاربطه اكثر مما يظهر ..

همس هيثم : ما الذى حدث يا ليلى ؟

سمعه احد الممرضين فسألها هل أنت ليلى ؟ أنت ليلى شاكر .. لقد سأل عليك ثلاثه رجال وكانوا فى لهفه من أمرك .

ليلى : أنا لست ليلى شاكر .. أنا عبلة بكر ، وأحيانا يدعونني ليلى

اخذت عبلة تهون على هيثم الأمور :

يجب أن نشكر الله الذى أنقذنا من الموت ..

الآم الصدر ستزول .. والجبس عدة أسابيع وسيذهب .. والساق .. يمكن تركيب عضو تعويضى لايفرق فى شىء عن الساق الطبيعى ..

وعلام الحزن والقلق وأنا بجوارك ؟

سالت دموع هيثم .. دموع التماسيح قائلاً : يا ليلتى .. لم أعد أصلح لك .. أنت حرة طليقة .. لك أن تعودى إلى أهلك وأسرتك .. يبدو أنهم أناس طيببون والله أراد بهذه الحادثة عودتك اليهم .

بكت ليلى وتهدج صوتها : لا .. لا يا هيثم .. لن أتخلى عنك .. لقد ضحيت بكل شىء من أجل حبنا .. لن أتراجع ولن أعود .. سأكون الزوجة **الوفية** لك .

همس هيثم : يا ليلتى .. أنت قمرتى فى ظلمتى ..

لن انسى لك هذا الجميل ما حييت .

أمـا الأستاذ سـدراك فقد   أجـريـت لـه الاسعـافـات اللازمـة ،
وعظـم الـرب الصنيـع معـهأذ نجـاه مـن مـوت كـهذا .. كـدمـات
شديدة وجـروح وشروخ طفيفـة بـالقفص الصـدرى ولكـن عظـم
منه لـم يكسـر .. جلس تحت المـراقبة وحـولـه زوجتـه وابنيـه
مينـا ومـارك وابـونـا حنـا حكيم الـذى أسـرع ليصلـى لـه ويـدهنـه
بـالزيـت.. وقد تعزوا جميعا وأبتهجت قلوبهم بمـا سمعوه من ميرا
وهكذا ظل سـدراك بـالمستشفـى عدة أيـام حتى تحسنت حالتـه ..
كان يخدم هيثم ويلبى طلبـاتـه ويعزيه فى محنته .. الأمر الذى تـرك
أثرا كبيرا فى نفسية هيثم ، وفى احد الأيام دار الحديث التالى :
هيثم : اننى أقدم أسفى على ما فعلته بك وبسيارتك .
سدراك : لا داعى لـلأسـف يـاأخـى .. قضاء أخف من قضـاء .. قدّر
ولطف .. نشكر الله على كل حال .
هيثم : أريد أن أفاتحك فى موضوع ولكننى محرج للغاية .
سدراك : لا داعى للحرج يا هيثم فنحن أخوة .. هات ما عندك .
هيثم : السيارة التى كنـت استقلها ليسـت سيارتـى .. أنـهـا سـيارة
وسيم الذى لن يرحمنى فى دفع قيمة الأصلاحات كاملة .. أعـترف
أننى ملزم بإصلاح سيارتك التـى لـم تعد سيارة ، ولكـن ظروفـى
المادية لا تسمح الآن ...

سدراك : ومن قال يا هيثم أننى ساطالبك بإصلاح سيارتى .. ظروفى المادية ميسرة والحمد لله ..

هيثم : يمكنى أن أكتب لك إيصالاً أو شيكاً بقيمة الإصلاح .

سدراك : لاإيصال ولا شيك ، ولن أقبل تعويضا صغيراً أو كبيراً

تأثر هيثم أكثر وتسأل : كيف يا أخى تقدم لى النعمة عوض النقمة ؟!

أجاب سدراك بإتضاع : ياأخى أنا لم أفعل شيئا غير تنفيذ وصية الإنجيل .

إكتسب هيثم صداقة سدراك ، ولكنه لم يكن صادقا معه ، فقد أخفى حقيقة علاقته بعبلة وأوهمه بإنها إبنة خالته .. يتيمة الوالدين ، ومقطوعة من شجرة ، وأنها زوجة المستقبل ، كما أكتسبت عبلة صداقة ميرا البسيطة المحبة الطاهرة التى تعلقت بها وطلبت منها أن تستمر هذه الصداقة ، فوعدتها عبلة بذلك .

وفى يوم كان سدراك يجلس مع ابنائه مينا ومارك وميرا عندما أقبل ميساك وعبدنغو صديقى سدراك ورفيقا السلاح يسألان عنه .. كان عبدنغو عائداً منذ أيام قلائل من أمريكا .

سدراك : عشر سنوات وأنت متغرب فى أمريكا يا عبدنغو .. نسيت مصر ، وأرض مصر ، وشعب مصر .

عبدنغو : كلا يا صديقى .. بل أقول لك أن محبتى لوطنى قد زادت ، فالإنسان لا يعرف معنى مصر إلا عندما يتغرب عنها ... إننى أعشق نيلها وترابها وشعبها .

سدراك : مبارك شعبى مصر .. حقا لقد تقدست هذه الأرض بمجىء العائلة المقدسة ، كما أنها إرتوت بدماء كاروز الديار وخاتم الشهداء وملايين الشهداء الأبطال .

ميساك : حتى عصرنا الحاضر يا عبدنغو لم يحرم من بركة الشهداء من قسوس ورهبان وشمامسة وشعب .

عبدنغو : نعم يا ميساك فإننى فى غربتى أتابع جيداً كل أحداث البلد .. أحداث الزاوية الحمراء .. أحداث ابو قرقاص .. أبونا شنودة ومن معه من الشمامسة والطفل مايكل فى احداث النوبارية .. مذبحة الفلاحين البسطاء فى صنبو.. الخدام والشباب الذين استشهدوا فى كنيسة مارجرجس بأبى قرقاص .. رهبان دير المحرق ، وغيرهم الكثيرون والكثيرون .

ميساك : إنهم بركة لهذا الوطن الذى تبارك بدمائهم الطاهرة ... أن مصر ليست وطناً نعيش فيه ولكنها وطن يعيش فينا .

عبدنغو : المهم .. حمدا لله على سلامتك يا أخ سدراك ..لقد عظم الرب الصنيع معك ونجاك من الموت .

سدراك : وهل هذه المرة الاولى يا عبدنغو .. أنـت وميسـاك أعلـم الناس بحفظ الله لنا .

ميساك : كلما أعود بذاكرتى إلى حرب أكتوبر عندما عـبر عبدنغو ضمن موجات العبور الأولى ، وعندما كنت أنـا فـى الجيـش الثـالث وتعرضت للحصار ، وعندما كنت أنت رابضاً بجوار القنال اتعجـب من حفظ الله لنا من الموت مرة ومرات .

ميرا : هو أنت كنت هتموت قبل كده يا بابا ؟

سدراك : كنت هموت قبل أن أراك يا ميرا أنت وأخوتك .

مينا : كيف نجوت من الموت ؟

مـارك : إحكى لنا يا بابا... حدث كم فعل بك الرب ورحمك .

سدراك : لنسمع من ضيوفنا .

عبدنغو : سأحكى لكم عندما يخرج بابا بالسلامة من المستشفى .

ميساك : ميرا تريد أن تسمع من أبيها .

سدراك : أحكى لكم عن إيه ؟ ولا إيه ؟ و لا إيه .. عمومـاً أحكـى لكم موقف أو اثنين من المواقف الكثيرة .

فـى السـاعـة الثـانيـة ظهراً إلا دقـائـق قليلـة يوم السـبت ٦ أكتوبر شـاهدنـا افـواج الطيـران المصـرى تعبـر القنـال شـرقا ، وبعد دقـائـق تعود ، وكانت الأوامـر مشـددة بعدم الضـرب علــى

الطيران القادم من الشرق من تجاه العدو لآنه تابع لنا ..
بعدها انطلقت من فوق روؤسنا الصواريخ وداناات المدفعية
تدق النقاط الحصينة لدى العدو .. ما شد إنتباهنا رزانة
البيانات المذاعة والبعيدة كل البعد عن تشنجات بيانات
سنة ٦٧.. كنا فى منطقة " القصاصين " على بعد حوالى
عشرون كيلو متر من مياه القناه .. اصدقاؤنا الذين خاضوا
الحروب من قبل مثل حرب اليمن ، وسنة ٦٧ ، وحرب
الأستنزاف كانت الأمور بالنسبه لهم تبدو وكأنها طبيعية
تماما .. فى المساء تحركنا فى ركب كبير تجاه القنال .
طوال الليل ونحن فى المركبات الحربية والأصدقاء لايكفون
عن المزاح والضحك وبالأخص الزميل إبراهيم زكريا .. اما
الزميل أحمد سالم فأخذ يحكى لى عن زيارته الأخيرة
لأسرته التى لم تتعدى عدة ساعات ، وقد ودعته ابنته
الصغرى قائله له : لاتغيب علينا يا بابا .. ماما فى المرة
القادمه ستذبح لك بطه كبيرة ..

وفى الساعه الخامسة صباح الأحد ١٠/٧ وصلنا إلى
منطقة " الصالحية " ونزلنا من المركبات شاهدنا حديقة
موالح وبها بعض اشجار النخيل قال الأخ أحمد سالم لإبراهيم

زكريا : اطلع النخلة .. هات شوية بلح علشان الناس يفطروا .. وقبل أن يقترب إبراهيم من النخلة كان الطيران الأسرائيلى يحلق فوق رؤوسنا فأسرعنا إلى الحديقة ، وكل منا يحفر بكل قوته فى الأرض وبأقصى سرعة حفرة برميلية ليحتمى بها ولم ندرى أننا دخلنا بجوار قاعدة صواريخ مصرية وهى بيت القصيد .. صار الطيران الأسرائيلى يقصف ، وقاعدة الصواريخ تطلق صواريخها ، و بجوارنا سيارة ذخيرة قد انفجرت .. صدقونى أن الأرض اهتزت وتزلزلت وارتفع التراب حوإلى اربعين متراً حتى صار الجو ظلمة .. أسودت الدنيا وصوت الإنفجارت لايطاق.. كانت حفرتى بين حفرة أحمد سالم ، وإبراهيم زكريا ..

دقائق قليلة مرت وخرجنا على صوت احد الزملاء " فلان أسُتشهد " ، ولم يكن فلان بمفرده ، لقد قدمت سريتنا سبعة شهداء منهم أحمد سالم الذى كانت ابنته الطفلة تنتظره ليأكل البطة ، وإبراهيم زكريا الذى عبر بجواره صاروخ فقُتل من تفريغ الهواء.. لم يكن به آية إصابة على الأطلاق ماعدا نقاط دم قليلة تساقطت من أذنه ، وبلغ

عدد المصابين تسعة أشخاص اشهرهم مسعود الذى كان مشهوراً بخفة دمه الشديدة فى أشد الظروف .. فقد دعى عبد الفضيل ليحمله لأنه قد أصيب .. حمله عبد الفضيل على ظهره ومسعود يقول له : حا .. شى ... حا .. شى..

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٠/٩ اقتحمت الأجواء طيارة فانتوم بصوتها المرعب تطير على ارتفاع منخفض جداً .. وبعد دقيقتين عادت مع طيارة اخرى .. هبطت كل منهما تجاه المعبر تسقط حمولتها من المتفجرات وتهرب .. لقد دمرتا جزء من المعبر ، وكان الهجوم شديداً لدرجة أن هناك اجزاء من المعبر يصل حجمها إلى المتر المكعب كانت تطير فى الهواء .. حاولتا الطائرتان الإسراع بالهرب بعد أن حققتا الهدف .. ولكن إلى أين ؟ ! .. لقد اصطادتهما الصواريخ المصرية وأسقطتهما ، وتم أسر الطيارين .. أسرع جنود سلاح المهندسين البواسل مع ضباطهم وهم يرتدون قمصان النجاة لإصلاح المعبر ، ولم يقبل صباح اليوم التالى حتى كان المعبر يعمل بكل طاقته ، والقوافل الغفيرة تحمل السلاح والذخيرة والتعينات إلى أرض سيناء الحبيبة ..

عبدنغو : لقد تباركت أرض سيناء بقدوم إبراهيم أب الأباء ، ويعقوب أب الأسباط ، ويوسف الصديق .. تلك الأرض التى عاش فيها موسى رئيس الأنبياء مع شعب الله اربعين سنه لم تبلى ثيابهم ولم تتلف أحذيتهم ، وقد اكلوا فيها الخبز السماوى (المن والسلوى) ، وشربوا من الصخرة الصماء .. تلك الارض التى تباركت بعبور العائلة المقدسة بها ..

سدراك : اما المدفعية الإسرائيلية التى أطلق عليها الجنود المصريين " ابو جاموس " لأن الدانه الواحدة كانت تفرش حوإلى ٥٠ متر مربع من الارض بالشظايا ، وبعض هذه الشظايا كانت تصل إلى ٥٠سم مشتعلة ناراً قادرة على قطع شجرة ضخمة .. فكم وكم الإنسان المسكين ؟ وكان يحلو للإسرائليين تسليط هذه المدفعية طوال الليل فى خطوط هندسية منتظمة لكى يضمنوا إخلاء هذه المنطقة من القوات المصرية وايضا لكى ينهكوننا بعدم النوم ، ومع هذا كان الله يحفظنا داخل الخنادق المغطاة ببعض شكائر الرمل ، ولم يكن يسكت صوت موسيقى غناء الموت هذه إلا اسراب الطيران المصرية.. ومن أجمل المشاهد التى كنا نراها مشهد إشتباك الطيران المصرى مع الإسرائيلى

وتفوقه عليه ، اما مناظر تساقط الطائرات الإسرائيلية فقد اصبح من المناظر المعتادة .. وفى جو الحرب هذه كنت اشعر بأن أبى القس حنا حكيم يقف فى هيكل رب الصباؤوت رافعاً يديه متضرعاً من أجل أولاده وكل النفوس التى تخوض هذه الحرب العادلة .. كما كان الوعد الإلهى يطمئنى " خرافى تسمع صوتى وأنا اعرفها فتتبعنى . وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولن يخطفها احد من يدى " (يو ١٠: ٢٧، ٢٨)

والجميل أنه خلال فترة الحرب تجد النفوس وقد تنقت تماماً من الشوائب ، فلايوجد أى أثر للكراهية والبغضاء بل المحبة الكاملة قد غلفت هذه النفوس حتى أن الذى معه نقود يعطى لمن ليس له .. العجيب أنه فى أشد اللحظات صعوبة وفى مواجهة الموت لا يكف الزملاء عن الضحك والسخرية ، حتى أن أكثر الضحكات كانت تنطلق ونحن محصورين بين يدى الموت ..

وعندما تم وقف اطلاق النار يوم ٢٢/ ١٠ إبتهجت كل الأسلحة بفرحة النصر ، وأضيئت السماء بالطلقات الكاشفة ، وعزفت كل الأسلحة موسيقى السلام فلن يعد الموت بعد

اليوم يعزف موسيقاه التى لا تطنب آذاننا ، ولولا أخوتنا الشهداء لرقصنا فرحاً بالسلام .

كان ذلك فى الساعة السادسة واثنين وخمسون دقيقة من مساء ٢٢ / ١٠... ولكن للأسف لم يقبل الصباح إلا وسمعنا اختراق وقف اطلاق النار من الجانب الإسرائيلى والثغرة وما حدث فى الثغرة .. ذهبنا إلى نفيشة مع القوات التى حاصرت هذه الثغرة .. كانت المفاوضات تجرى فى اتجاه وكان الأستعداد لاقتحام الثغرة يجرى فى اتجاه اخر .. وفى يوم سمعنا صوت الزميل سلامة يستنجد من داخل حفرتة البرميلية .. لقد هبط للحفرة ومعه شيكارة برتقال .. استمر القصف الإسرائيلى واستمر هو فى أكل البرتقال حتى أنه لم يستطع أن يخرج من الحفرة .. أخرجناه وأجرينا له الأسعافات اللازمة ..

لقد مرت على هذه الذكريات أربعه وعشرون عاماً ولكنها مازالت حية فى قلبى تشهد بحبى لمصر وتراب مصر أرض الأباء والاجداد .. انها مدينة قبور أبائى وأجدادى التى أغير عليها من كل شر .. ليحفظها الله لنا ولأولادنا من بعدنا وليكن دائماً مباركا شعبها .

سعد الأبناء بهذه الجلسة الحلوة بين رفقاء السلاح

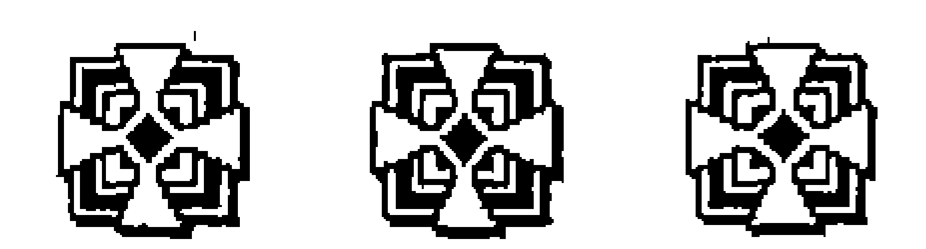
مـرت الايـام فـى المستشفـى وخــرج الأستـاذ سـدراك ، وبعـد عـدة أيـام تمـاثـل هيثم للشفـاء ، وحقيقـةً أن مشـاعــر ليلــى الطيبـة كـان لـها أكبـر الأثـر فـى رفـع معنـوياتـه .. تعـافــى هيثم مـن صدره ومن ذراعـه ولكنـه خـرج مـن المستشفــى وقـد فقـد ساقـه اليمنـى ..

ذهب هيثم إلى أسـرتـه مصطحبـاً معـه عبلتـه ..

ولا ادرى يـا صديقـى بـأى وجـه وأى مشـاعـر دخلـت عبلـة إلـى بيتـه ؟ !

وكيـف استطـاعـت ان تبيـت هنـاك ؟!

وهـل وجدت نـومـاً فـى أرض سبيـها وغـربتـها ؟!



الفصل الخامس : هل حقاً هي ؟

مرت الأيام رتيبة .. ثقيلة .. كئيبة ..

ما أقسى العواصف التي عصفت بهذه الأسرة المسكينة أسرة المهندس شاكر ..

الآلام والحسرات تلقي بظلالها على كل فرد فيها .. لو خسر الإنسان شيئا ثمينا فكم يكون حزنه ؟! فما بالك بالذي فقد ' ضناه ' .. انها مصيبة تزلزل الكيان كل الكيان .

حقاً لم يعد شيء من هذه الحياة يبهج تلك النفوس المحطمة .. الأسرة تتمنى الأختفاء من على مسرح الاحداث ، وتود لو تقدر أن تهاجر إلى أقصى أطراف المسكونة .. حاولت الأسرة كتم السر ، والتعتيم على الأخبار ، واختلاق الأسباب لإختفاء ابنتهم لمده شهرين .

وفي يوم طرق بابهم طارق .. أنه ابونا أشعياء مع احد الخدام .. تجمعوا حوله يبثون همومهم والآمهم وشكواهم ومأأصاب ابنتهم وانهم قد بذلوا كل جهدجهيد حتى يعثروا عليها دون جدوى حتى صاروا حطاماً ، فالأم منهارة تماما ، والأب قد

اثخنته الجراح ، والأخ مغلول ، والأختين تعلو وجهيهما الكآبة والحسرة .. اخبرهم ابونا بأن هناك إخطار وصل للبطريركية من الجهات المختصة عن فتاة تدعى " عبلة شاكر " منذ ثلاثه أيام ، والعنوان مختلف تماماً عن هذا العنوان ، ومنذ هذه اللحظة وهو لم يهدأ مع الخدام ، ولم يكفوا عن البحث والسؤال والأستفسار عن العنوان المبهم .. جلس ابونا معهم وعلم كل ما يعلمونه وأخذ صورتها وانصرف بعد أن صلى معهم وحاول تهدئتهم .

وفى الصباح أخذ ابونا طريقه مع والد ليلى وأخيها لمعى وخالها اسحق إلى مكان اللقاء حيث تحدَّدت اليوم الجلسة الأولى لهذه الأخت ، وما أثقل مثل هذه الأمور على نفس أبينا .. إنها تجلده جلداً .. وصلوا إلى المكان ، وجلس ابونا أشعياء مع أبيها فى حجرة المقابلة بحضور اثنين من المسؤلين عن مثل هذه الأمور . اما أخيها وخالها فلم يسمح لهما بهذا اللقاء خوفاً من انفعال احدهما .. وقف خالها يتجسس الأخبار فعلم أنها قادمه الآن .. وجد اثنين من المسؤلين يصطحبان شابة لم يظهر من وجهها غير عينيها ، وحتى عيناها قد اختفيا خلف النظارة السوداء ..

اقتـرب الخـال منـها يريـد إستكشـاف الأمـر والوقـوف علـى الحقيقـة ، فمـا كـان منـها إلا أنـها فزعـت وصرخـت وهمـت بـالركـوض .. تدخـل من معـها وتصدوا لـه : مـن أنت ؟ ومـاذا تـريد ؟ ومـاذا فعلت بـها؟ .. قـال لـهم أنـه خـالـها اسحـق لاأريـد منـها شيئـاً ولـم امسسـها بسـوء ، فقـط أريد مصـافحتـها ..لكنـهم منعـوه وردوه .. امـا أخيها فقد أفقدته الصدمـة اتـزانـه ، فـوقـف مثـل الطيـر التـائـه .. استنـد علـى الجـدار بـاذلاً جـهده حتـى لايسقـط علـى الارض .

دخلت ليلى الحجـرة بـدون سـلام ولا كـلام .. جلسـت ولـم ينتبه ابـونـا ولا أبيـها أن هـذه هى ليلـى .. تنبـه المسئول وقـال لأبـونـا : هذه هـى .

ثـم وجـه كـلامـه لـها : يـا بنتـى سلمـى علـى أبيك فـهو لـه حـق عليـك .

فقـالـت بصـوت منخفـض : السـلام عليكـم .

تبين والـدهـا صـوتـها ، ولـم يحتمـل الصـدمـة ... شعـر ان قلبـه يكـاد يتـوقـف .. نـهض وهـو يشعـر ان قـدمـاه لا تحتمـلاه ..

قـال المسؤول : جـرى أيـه يـا أخ شـاكـر ؟ بنتـك بخيـر والحمـد لله.. هـى فـى الحمـى والصـون ، ولاداعـى للقـلق عليـها ..

انسحب الأب يجر ساقاه جراً ، ويضرب كفاً على كف وقد تجمدت الدموع فى عينيه . اما فاه فلم ينطق ببنت شفه . خرج فأسرع به الخال اسحق مع الإبن خارج المبنى حيث اسرعا به إلى المستشفى

وفى حجرة المقابلة لف الصمت المكان .. وعاد المسئول يقول للأب الكاهن : هاهى أمامك .

فقال الأب الكاهن : أنا جئت لأتحدث مع ليلى شاكر ، ومعى صورتها .. اما هذه فلا أدرى من هى ؟

أكد المسئول أنها هى قائلاً : إننى أقول لك أنها هى ..

ولكن هذا التأكيد لم يُقنع الأب الكاهن الذى يبحث عن الخروف الضال .. تدخل المسئول الثانى قائلاً لها : يمكنك أن تكشفى عن وجهك .. فكشفت عن وجهها قائلة : أنا ليلى شاكر .

نظر ابونا إلى وجهها وقارن بينها وبين الصورة التى يحملها ، وعرف أنها هى رغم أن ملامحها قد تبدلت كثيراً ، وقد أختفت مسحة النعمة من محياها .. اما مشاعرها فكانت متبلدة تماما .

أعـاد ابـونـا النظـر اليـها مبتسمـاً ، وحـاول أن يـلاطفـها قـائـلاً : مـادمـت أنـت ليلـى فلنتحـدث معاً .. كيـف حـالـك ؟ أنـا أريـد الإطمئنـان عليك .. هـل هنـاك مـن يغـويك او يضغط عليك ؟

ليلـى : لايوجـد أحـد يضغط علـىّ أو يغوينى .

ابـونـا : يـا ابنتـى مـادام لـم يوجـد أحـد قد أغـواك أو ضغـط عليك فلمـاذا تتـركين مسيحك ، ولمـاذا تنكـرين فـاديك ؟ السيـد المسيـح يحبك ويسفك دمـه مـن أجلك وأنت تـرفضينه ..

ليلـى : أنا تـركت المسيحيـة لأن بـها أخطـاء كثيـرة ، والإنجيـل الحـالى قـد تحرّف .

ابـونـا : اعطنـى مثـلا علـى هذه الأخطـاء الكثيـرة .

ليلـى : أنتم تعبدون ثلاثة آلـهة الأب والإبـن والـروح القـدس .. وتقـولـون أن المسيـح هـو الله مـع ان كتـابكـم يقـول علـى لسـان الله :

" لااحـد يرانـى ويعيش " بينمـا المسيـح نظره كـل مـن عـاشـوا معـه ..

ابـونـا : يـا ابنتـى نحـن نعبـد إلـه واحـد لا شـريـك لـه .. بـالحقيقـه نـؤمـن بإله واحـد .. مـوجـود بذاتـه (الأب) نـاطـق بكلمته (الإبـن) حـى بروحـه (الـروح القـدس) .. إلـه واحـد

محب للبشر تجسد من أجل خلاصنا .. رأيناه عندما أخفى لاهوته داخل الجسد البشرى الذي أخذه من السيدة العذراء والروح القدس ، اما اللاهوت المجرد فلم يره احد قط ولا يقدر ان يراه لانه قال "لان الانسان لايرانى ويعيش " ... يا ابنتى هذه الادعاءات وغيرها ليست جديدة تحت الشمس .. موضوع تحريف الإنجيل ، والتثليث والتوحيد ، والتجسد الإلهى ، والوهيه المسيح، والصلب والفداء .. مثل هذه الأمور لها الإثباتات القوية من العهد القديم الذى يؤمن به اليهود والمسيحيين ، ومن العهد الجديد ، ومن المنطق والعقل وحتى من الديانات الآخرى ..

تدخل المسئول قائلا : لك أن تتكلم فى المسيحيه فقط .

ليلى : أنا لاأفهم هذه الأمور الغامضة.

ابونا : يا ابنتى ليس من المنطق والعقل أن تتركى المسيحية لأنك لاتفهمين بعض الأمور .. هل سألت عن هذه الأمور الغامضة ولم تجدى إجابة شافية ؟

ليلى : أنا لم اسأل ، وغير مقتنعة .

وهنا أراد ابونا أشعياء أن يخرجها من بلادتها ويجذبها بالحديث فقال لها : يا ابنتى الحقيقة أنك لا تعرفين شيئاً لا فى

المسيحية ولا فى غير المسيحية .. أنت تركت مسيحيتك من اجل زميلك هيثم .. ألا تعلمين أنه كان من الممكن أن تتزوجينه وتبقى على مسيحيتك لأن شريعته تسمح بذلك

هذه الملحوظة كانت جديدة على ليلى فأخرجتها بعض الشىء عن مشاعرها المتبلدة.. نظرت للمسئول تريد أن تستوثق من كلام الأب الكاهن ، والمسؤول صمت لم ينفى ولم يثبت هذا الكلام .. عاد ابونا يستكمل حديثه :

يا ليلى يا ابنتى ان كنت غلطت معه وسقطتى أنا مسؤول عنك .. كل الأمور ممكن تتصلح ، والسماء كلها منتظرة رجوعك .. لقد دفع المسيح دمه من أجلك .. أنت ابنته وينتظر رجوعك .. واكيد صوت الروح القدس داخلك يدعوك للعودة ...

خافت ليلى أن تتأثر بكلام الأب الكاهن فقاطعته قائلة : أنا مقتنعة بما أنا فيه .. لن أعود إلى ما كنت عليه ولا تتعب نفسك .

تدخل المسئول موجهاً كلامه للأب الكاهن : هل يوجد شىء آخر ؟

الأب الكاهن : حاضر .. بقى كلمة صغيرة ، وقال لليلى : إسمعى يا ابنتى أنت عارفة الغصن عندما يفصل نفسه عن الشجرة .. ماذا يحدث له ؟ انه يجف ويموت .. وماذا يكون مصيره ؟ النار الأبدية .. الجميع يعلمون ان السيد المسيح هو الديان الذى سيدين العالم كله .. بأى وجه ستقفين أمامه فى اليوم الرهيب ؟

تململ المسؤول من هذا الأب ، وقالت ليلى : أنا اخترت طريقى ..

قال المسئول الاول للثانى : أكتب .. لقد اقتنعت ليلى شاكر بما هى عليه الان وإنتهى اللقاء .

الفصل السادس : الأكليل المبهج

أضيئت أنوار الكنيسة المرقسية ، وأوقدت الشموع ، وإستعدت الملائكه مع الشمامسة للترنم احتفالاً بالاكليل المقدس للآنسة ليلى شاكرعلى خطيبها المهندس فادى المعيد بكليه الفنون الجميلة .. ازدحم فناء الكنيسة بالسيارات فما اكثر المدعويين ؟! وما أكثر الذين لبوا الدعوة كعلامة محبة ووفاء للخدمة المتفانية التى يقوم بها الأخ فادى فى كنيسة البابا ديسقورس ، والخدمة الأمينة التى يقوم بها الأستاذ اسحق خال ليلى عضو لجنة كنيسة الانبا موسى القوى . بارك الأكليل سبعة أباء وعدد كبير من الشمامسه ذو الأصوات الملائكية . وضعت باقات الورود على الجانبين واوراق الزينة ، كما وضع شريط فى بداية الطرقة ليقصه العريس مع العروس ، وقد أستعد رجال التصوير الفوتوغرافى ، والفيديو ، ووضعت عدة تليفزيونات فى أماكن متفرقة بالكنيسة لنقل الأحتفال عن طريق جهاز الكترونى جلس أمامه شاب وسيم يديره بدقة .

ارتفعت اصوات الزغاريد .. لقد حضرت سيارة العروس ، فتقدم أبيها وفتح الباب ليستقبلها ، وليلى تتأبط ذراعه ويسيران معاً عدة خطوات ليسلمها على باب الكنيسة لعريسها فادى .. عزف الدف مع التريانتو مع الأصوات الملائكية أجمل لحن لزفة العروسين ..

" اخرستوس انستى اكنكرون .....

المسيح قام من الاموات... بالموت داس الموت

صرخت ليلى فى اعماقها : ياربى يسوع المسيح أقم نفسى من قبر الخطية .. كانت تشعر فى داخلها أن هناك خطأً ما حدث فى حياتها ، فتحس بعدم الاستحقاق ، وتتصاغر أمام محبة أبيها السماوى .. تسير ليلى مع عريسها فى الزفة والوجوه تبتسم لهما والقلوب تبارك وتصلى من أجل الكنيسة الجديدة المزمعة أن تولد فى هذه الساعة المباركة .. شعرت ليلى بالسلام يغمر قلبها والبهجة تملأ حياتها حتى أحست أن قدماها لا تلمسان الارض ، وكأنها تطير من الفرحة .

وقف العروسان بجوار مذبح رب الجنود ، والعروس تحمل باقة الورود فى يدها فتشكل مع الحلة البيضاء والطرحة تناغماً لطيفاً فى الالوان .

بدأ الآباء كل منهم يبارك العروسين ويرشمهما بالصليب " باسم ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح مشرع شريعة الكمال ، وواضع ناموس الافضال نعقد أملاك الإبن المبارك الارثوذكسى البكر فادى على مخطوبته الأبنة المباركة الارثوذكسية البكر ليلى ...

قال فادى فى نفسه : أشكرك يا ربى يسوع يامن شرعت لنا شريعة الكمال .. حقاً أنه ليس بعد المسيحية كمالاً آخر إلا ملكوت السموات .. شريعة الكمال التى ترفض تعدد الزوجات ، وتنبذ الطلاق .. وما ادراك ما الطلاق والجرائم والمآسى الناجمة عنه ؟!!

بدأت صلوات الاكليل .. وما أجملها وأعمقها .. لقد ساد الهدوء المكان المقدس وتمتع المصلون بهذه الصلوات وتذكر المتزوجون أكاليلهم فجددوا العهود مع انفسهم .. صلى الأب الكاهن على الدبلتين والأكاليل والزنار والبرنس :

" أيها السيد الرب يسوع المسيح الهنا الذى زين السماء بالنجوم ، واظهر الارض ببهاء الأزهار المثمرة ذات الأنواع الكثيرة .. نسألك ان تبارك هذه الحلل الموضوعة.. حلل المجد والاخلاص .. حلل الفرح والتهليل ، وأحفظهما نقيين فى النفس والجسد والروح . لتكون حياتهما فى صحة وسلام وعفاف . هب لهما الراحة السمائية والارضية .. املأ منازلهما وخزائنهما من كل الخيرات ، وليستحقا ان يعملا رضاك كل حين " .

قرأ الشماس البولس الذى يوضح ميثاق الأسرة المسيحية .. فالزوج يقدم الحب والزوجة تقدم الطاعة

ثم قرأ الانجيل الذى يتحدث عن شريعة الزوجة الواحدة . شريعة الكمال " فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان " .

فعلاً أنه بعد الاكليل يخرج العروسان جسداً واحداً ، وجاءت الصلاة التالية تؤكد نفس المعنى :

" أيها الرب الهنا العظيم الأبدى .. اذ قلت أنه لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فأتيت بنعاس على ادم فرقد ، واخرجت ضلعاً من جنبه وملأت موضعها لحماً عوضاً عنها ، لهذا

يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ، ويكون كلاهما جسداً واحداً وما جمعه الله لا يفرقه انسان "

وضع فادى الدبلة فى بنصر ليلى اليسار حتى يكون اسمه قريباً من قلبها ، وهكذا صنعت ليلى ، وشد الأب الكاهن العريس بالزنار الأحمر علامة الارتباط الدائم ، والبسه البرنس الكهنوتى علامة أنه صار كاهن الأسرة ، ووضع على رأسيهما الأكاليل ، ثم قرب رأسيهما معاً وهو يصلى :

" يا الله القدوس الذى كلل قديسيه باكاليل لاتذبل .. أنت ايضاً الآن يا سيدنا بارك هذه الأكاليل .. لتكون لهما أكاليل مجد وكرامة .آمين . أكاليل بركة وخلاص .آمين. أكاليل فرح ومسرة .آمين . أكاليل تهليل وبهجة . آمين . أكاليل فضيلة وعدل . آمين . أكاليل حكمة وفهم قلب . آمين .أكاليل عزاء وثبات . آمين .

هب لعبديك اللذان يلبسانها ملاك السلامة ورباط المحبة وانقذهما من كل فكر قبيح وشهوة رديئة، ونجهما من كل ثقل الخبث ، ومن كل محنة شيطانية ...

ثم جاء دور تسليم الوصايا حيث مد فادى كفه الأيمن لكيما يستقبل كف ليلى الأيمن ، ووضع الأب الكاهن لفافة على كفيهما ثم بدأ يوصى العريس قائلاً :

" يجب عليك ايها الإبن المؤيد بنعمة الروح القدس ان تتسلم زوجتك فى هذه الساعة المباركة بنية خالصة ونفس طاهرة وقلب سليم ، وتجتهد فيما يعود لصالحها وتكون حنوناً عليها وتسرع إلى مايسر قلبها . فأنت الان المسؤل عنها من بعد والديها "

ورتل الشماس مخاطباً ليلى :

" اسمعى يا عروس واصغى بسمعك وأنسى شعبك وبيت أبيك لأن فادى العريس أشتهى طهرك ، فهو زوجك وله تخضعين "

ثم اوصى الأب الكاهن العروس قائلاً :

" وأنت أيتها الأبنه المباركة العروس السعيد قد سمعت ما اوصى به زوجك فيجب عليك ان تكرميه وتهابيه ، ولا تخالفى رأيه . بل زيدى فى طاعته على ما أوصى به اضعافاً فقد صرت اليوم منفردة معه ، وهو المسئول عنك بعد والديك . فيجب عليك ان تقابليه بالبشاشة والترحاب

ولا تضجرى فى وجهه ولا تضيعى شيئاً من حقوقه عليك . وتتقى الله فى سائر أمورك معه . لأن الله تعالى اوصاك بالخضوع له وامرك بطاعته بعد والديك . فكونى معه كما كانت أمنا سارة مطيعة لابينا إبراهيم وكانت تخاطبة يا سيدى "

ثم فتح الأب الكاهن ستر الهيكل وتقدم العروسان أمام باب الهيكل حيث جثيا ، ومنحهما الأباء البركة :

" كذلك يباركك الرب أيها الأخ ويبارك زوجتك كما بارك نوح وزوجتة عند خروجهما من السفينة وعمّر فى ذريتهما ، وكما بارك لابراهيم فى سارة ولاسحق فى رفقة وليعقوب فى ليئة وراحيل . وبركة الرب جّل إسمه الحالة فى عرس قانا الجليل تحل عليكما ، وفى منزلكما ، وتوفق بينكما ، وتجعل المحبة الروحانية فى قلبكما ، وتديم ارزاقكما ، وتعمر منزلكما ، وتمنحكما العمر الطويل والحياة الهنية مع الاولاد المباركين "

وزفت جوقه الشمامسة العروسين ، ثم وقفا على الباب يستقبلان التهانى الحارة من الشعب الغفير ، ومصور الفيديو يسجل هذه اللحظات الحلوة .

فتحت ليلى عينيها .. أين فادى ذو البسمة الملائكية ؟
أين ذهب أبى ؟ وكيف إختفت أمى ؟
هل تركتمونى يا أخواتى الأحباء ؟
وكيف تخليتم عنى أيها الأباء ؟
أين الشمامسة.. الملابس البيضاء .. الانوار .. الورود .. الشعب الغفير .. ؟

لقد فتحت ليلى عينيها فلم تجد نفسها " ليلى " العروس الجميلة السعيدة التى ارضت الله ووالديها ، لكنها وجدت نفسها " عبلة " الجاحدة الناكرة التائهة .. وجدت نفسها تجلس بجوار هيثم ذو الملامح الجامدة .

نظرت عبلة وإذ بوسيم وكيلها يضع يده فى يد هيثم ويجلس بينهما كاتب المواثيق ولا يبدو أى مظهر للفرح ، حتى الزينة الخارجية لا وجود لها ، ولا أثر للمعازيم .. لقد تبخرت كل الوعود البراقة بإقامة اعظم الافراح ، وإحضار اكبر المطربين ، والشقة المتسعة المؤثثة بأجمل الأثاث الفاخر ، والأحلام الوردية ، والفردوس المفقود.. كل هذا بحجة السباق المفقودة لسى هيثم ..أنه فرح يتيم .. يتيم ..
كيف تحول الاكليل المفرح إلى فرح يتيم ؟!!!

الفصل السابع : إعلان المكتوم

أراد هيثم أن يُسرى عن عبلته ، ويرد جميل باسم ووسيم فاصطحبهم إلى حدائق المنتزه ، واصطحب باسم معه سوزى ابنة أخته ذو الثانية عشر من عمرها ، وبعد ان وصلوا إلى هناك أرادت عبلة أن تلاعب سوزى بالكرة .. عجباً .. فرغم هيام الفتيات باللعب إلا ان سوزى قد فقدت شهيتها للعب ، ولا تلعب إلامن قبيل تأديه الواجب .. لماذا ؟!

تركت عبلة الكره وجلست إلى سوزى على النجيلة الخضراء الناعمة وكأنها فراش من السندس .. حاولت عبلة الدخول فى حياه سوزى لتكتشف المجهول الذى أفقدها شهية اللعب ، وكاد يفقدها الرغبة فى الحياة ، ونجحت عبلة فى هذا إذ استطاعت بطريقتها ان تسحبها إلى أرض الاعتراف ، وببساطة الأطفال فتحت سوزى قلبها وأخذت تبث لها همومها واحزانها وشكواها ، فبدأت الحديث قائلة :
يا أبلة عبلة .. اننى أحبك ، ولهذا لى طلب عند حضرتك .
عبلة : وما هو يا سوزى أنا تحت أمرك .
سوزى : ان لا تنجبى اولادا ً .

عبلة : يا سوزى .. لو كفت كل إمرأة عن الانجاب فإن دورة الحياة ستتوقف ويتعرض العالم للخراب والفناء .. فلماذا تطلبين منى هذا الطلب العجيب ؟

سوزى : لو أنجبت اولاداً ، ثم اختلفت مع هيثم سيطلقك و...

لم تترك عبلة سوزى تكمل حديثها بل قاطعتها قائلة :

لا .. لا لا.. لا ياسوزى .. اننا نحب بعضنا جداً جداً ، ولا يمكن لاحد منا ان يستغنى عن الآخر مهما كانت الظروف والأوضاع .. إن الطلاق بعيد بعيد عنا ، ولا يجرؤ أن يقترب من بيتنا على الاطلاق .

سوزى : هذا الكلام وأحلى منه سمعته بأذناى بين أبى وأمى اللذان عاشا قصة حب عظيمة قبل زواجهما ، وأنا شخصياً لم اكن اتصور أن الطلاق يجرؤ على إقتحام بيتنا فى يوم من الأيام لأن أبى يحب أمى ولا يمكن أن يستغنى عنها ، وأمى ايضاً تبادله نفس المشاعر واكثر .. ولكن يا أبلتى عندما ظهرت سيدة اخرى على خشبة مسرح حياتنا استطاعت فى وقت وجيز ان تقلب الاوضاع رأساً على عقب .. اخذ أبى يختلق المشاكل ، وفى فترة وجيزة للغاية تم الطلاق ، وطرد أمى من بيتها ونحن فى أذيالها .. ذهبنا

لنعيش مع جدتى أم باسم ، ولكنها سريعاً ما ضاقت ذرعاً بنا .. لو لعبنا او علا صوتنا او ضحكنا فإنها تبكتنا بشدة .. لو أسرفنا فى استعمال شىء حتى المياه .. لو أتلفنا شىء دون ان نقصد .. يأتى العقاب سريعاً وقوياً وغاضباً ، والشتائم واللعنات تُصب على أبى الخائن الذى رمانا .

عبلة : لا يمكن ان أباك ينساك يا سوزى .. لابد أنه سيعيدكم إليه يوما.. أكيد أنه يحبك .

سوزى : أبى يحبنى !! أبى يحبنى !!!

كلا أنه يحب عروسته الجديدة ، او قولى أنه يحب ذاته وراحته وشهواته .

عبلة : لاتقولى هذا .. أكيد أنك لاتدركين الأمور جيداً ..

سوزى : لا ادرك !! الأسبوع الماضى زرت صديقتى نيللى ، ولعبت معها بالآتارى .. عدت إلى منزل جدتى ونمت أحلم بهذه اللعبة الحلوة المسلية .. اعرف جيداً ان أمى ليس لديها امكانية الشراء فتجرأت وذهبت اطرق باب بيتى الذى ولدت وعشت فيه ، وكنت معتادة على الخروج منه والعودة اليه ، ولكن هذه المرة أنتابنى شعور بأننى غريبة عنه فليست أمى بداخله ، ولا اخوتى فيه .. فتحت لى الست " نادية "

زوجة أبى ، ووقفت بمقابلى على الباب حتى لا ادخل .. لم تكن هى الست نادية الحلوة الهادية موضع حب كل الأطفال لكنها كانت القاسية المتعجرفة العنيفة التى سألتنى بغلاظة :

ماذا تريدين ؟

اجبتها : أريد رؤية أبى .

قالت : الأستاذ نايم ولا يحب أن يقلقه احد .

قلت : أنا نفسى أشوف بابا .. ولم أستطع ان أكمل لأن الدموع غالبتنى وغلبتنى ، وجاء صوت أبى من الداخل ينادينى .

عندئذ سمحت لى الست نادية بالدخول إلى بيتى ، وذهبت تبرطم بكلمات كثيرة صعبة " رجلها ستأخذ على هذا المكان .. هو احنا ناقصين همّ !! "

نهض أبى من فراشه واستقبلنى استقبالاً فاتراً قائلاً :

إيه يا بنت عايزة إية ؟

جاءت كلماته مثل خنجر أخترق جدار قلبى ، ولكننى تحاملت على نفسى وتلعثمت قائلة :

أنـا .. أنـا يـا بـابـا .. أنـت .. أنـت وحشتنـى ، فجـئت لأسلـم عليك .. نفسـى اجلس فـى حجرك واتكلـم معـك زى زمـان لمـا كنت بتحكـى لـى " امنـا الغولـة " وكنت بتضحكنا.. فـاكر يـابـابـا .. أنـا كمـان نفسـى اقـولـك انـى زرت نيللـى صاحبتى ولعبـت معها بـالآثارى .. صحيح أنا متعودة انـى لا اذهب إلى مكـان إلا بعد الأستئذان مـن حضرتـك ، لكـن حضرتـك يـابـابـا لـم تكـن موجـود معنـا ..

شعر أبى باننـى سـأطلـب منـه آتارى فقـاطعنـى قـائـلاً :

يـا سوزى .. أنا الحقيقـة مشغول ومـرتبـط بمـواعيد الان .

قلـت : أنا لـن أوؤخـرك يـابـابـا .. بس يعنـى أنا كـان نفسـى فـى آتارى ..

وهنـا لـم تتمـالـك زوجتـه نفسها فـارتفـع صوتـها : " آتـارى .. آتارى إيه ؟! .. دلـع بنـات .. لعبـة بمـائـه جنيـه علشـان تسيـب مذاكرتـها وتلعـب .. بنـات فسـدانه ، وكلـه علـى الأم اللـى معرفتش تـربـى .. لـم تكـف عن الثـرثـره والتبكيت والتقـريـع ، حتـى بعد ان استـأذنـت أبى وانصرفـت حزينـة باكيـة يـهىء لـى انـهـا مـازالـت تتكلـم وتثرثرللآن .. اننـى أخـذت درسـاً قـاسيـاً

وهو ان الموت ارحم لى من احضان أبى وهو فى حضن إمرأة غير أمى .

ربتّت عبلة على سوزى بحنان بالغ ، ولكنها لم تجد الكلمات التى تعزيها بها ، ولم تعثر على المرهم الذى يداوى جراح الصغيرة ، ومن يقدر ان يعيد سوزى إلى حياتها الاولى الطبيعية .. حياة البسمة فى ظل حاضر سعيد وغد مشرق .

سوزى : وهل تظننى يا ابلتى ان قصتى أنتهت عند هذا الحد؟!

عبلة : وماذا ايضاً يا سوزى ؟

سوزى : منذ ان طردنا ، ولم يعد لنا عائل يعولنا فنزلت أمى إلى العمل تكد وتتعب من اجل أطعامنا ، ولكن يا ليتها ما كانت نزلت ولا كنا أكلنا

عبلة : لماذا يا سوزى ؟

سوزى : كنا نفضل الموت جوعاً فى احضانها ولا سيما بعد ان حرمنا من الدفء الأبوى .. نعم صدقينى يا أبلتى .

عبلة : وماذا حدث يا سوزى ؟! احكى لى يا حبيبتى ..

سوزى : منــذ ثـلاثــة شــهور بـدأت تتـأخـر علينــا .. بعـد هـذا بـأيام كانت تـهمس فـى اذن جـدتـى ببعـض الكلمـات ..

بدأنا ننتظرهـا إلى وقت متـأخـر كـل ليلـة ، وأخـذ القلـق منـــا مـأخـذاً بينمـا جـدتـى لاتبـدى أى اهتمـام لـهذا التـأخيـر المتكـرر ، بـل تطمئنـا بـأن ماما لـديـها أعمـال كثيـرة يجـب انجـازهـا .. كنـا نتـرك العشـاء ونسـهرمنتظـرين عـودتـها قـرب الفجـر حتـى ننـام فـى جلـوسنـا فـى بـرد الشتـاء ، ونستيقـظ صبـاحـاً فـلا نجـدهـا .. بـدأ الشـك يسـاورنـا .. هـل اصبـح لـها بيتـاً اخـر وتـأتـى لـزيـارتنـا عدة ساعـات كل يـوم او كـل عـدة أيـام ؟! ولاحظنـا ان الحـزن بـدأ يختفـى مـن حيـاتـها ، وبدأت تهتم بنفسها ، وطلـى المكياج وجهها ..... وكـانت الصدمـة الكبرى عندمـا علمـت انهـا تزوجت وألقت بنفسها فـى أحضان رجـل غـير أبـى أنتقامـاً منـه ، ولكنها فى ذات الوقت القتنا نحن من حياتها و ....

هنـا جـاء باسم يدعوهمـا للانضمـام إليهـم ، فـانقطع الحديـث الحزين ، وذهبت عبلة مـع سوزى لتجلسـا مـع الشـلة ... جلسـوا جميعا على الكازينو الذى طالمـا جلسـوا بـه قبـلا، تشـعب الحديث وتفتحـت المواضيـع وكشـفت الأسـرار وظهـر المكتـوم ، ولاسـيما عندما علق هيثم قائلا : الفضل يرجـع إلـى الأخ باسم " مستيكة "

والأخ وسيم " وهبتك نفسى " .. ما مغزى هذه الألقاب التى حاز عليها باسم ووسيم ؟

الحقيقة انه ذات يوم دعى وسيم هيثم وليلى وباسم لقضاء يوم على شاطىء " مارينا " احدى القرى السياحية على الشاطىء الشمالى .... جلسوا على الشط يتمتعون بلون المياه الفيروزى ، وكانت ليلى تظن ان مستواها المعيشى مرتفع جداً ، ولكنها فوجئت بمستويات اعلى كثيراً من مستواها ، رأت الفتيان والفتيات يصرفون ببذخ شديد بلا حسيب ولا رقيب ... احدى الفتيات ركبت " الجيت سكى " (موتسيكل البحر) لعدة ساعات دفعت بعدها ٦٠٠ ستمائة جنيها مصرياً ... كما ان الانحلال الخلقى يلقى بظلاله على المنطقة ، وكأن هذه المنطقة قطعة من الخارج داخل الأراضى المصرية المقدسة .

وبعد تناول الغذاء أنتقلوا إلى شقة خالية تخص أحد أصدقاء وسيم ... وفيها نصب الشرك بمهارة وفيه سقطت الفريسة ... قام باسم بالواجب أذ أغدق على ليلى " المستيكة الجنسية " فتحول جسدها إلى كتلة من اللهيب ، وتولى وسيم ترويض الفريسة حتى تدخل إلى المصيدة بارجلها ، فسألها :

يا ليلى هل تحبين هيثم ؟

ليلى : وهل هناك مجال للشك فى هذا ... هيثم يعلم انى احبه اكثر من نفسى .

وسيم : وهل أنت مستعدة للزواج منه ؟

ليلى : طبعا .. هو احنا بنلعب ؟ !!!

وسيم : وهل تشتاقين إلى ليلة الزفاف ؟

ليلى : وما الداعى لهذا الإحراج.... إيه حكايتك يا وسيم ؟

وسيم : لا أقصد شيئا ، ولكنى اريد أن استفسر فقط هل تريدين ان نُقرب هذه اللحظة ؟

ليلى : وكيف ؟ أنا ما زلت وسط أهلى ، ولم أدبر أمورى بعد .

وسيم : من الممكن وشرعا ان تكون هذه الليلة ليلة زفافك .

ليلى : لقد حيرتنى معك يا وسيم ... وكيف يتم الزواج ؟

وسيم : الأمر فى منتهى البساطة .. أنت تقولين له " وهبتك نفسى " ، وهو يجيبك قائلا " وأنا قبلت الزواج منك " ، وأنا وباسم نشهد على هذه الزيجة ... ثم ان هذه الشقة تعتبر هدية زفافك .. ما رأيك يا أخ هيثم ؟

هيثم : الأمر فى يد ليلتى قمرتى ؟

راحت ليلى فى تفكير قليل ، بينما أكمل وسيم الحديث مع باسم مركزين على ان الأمر تحصيل حاصل ، وخير البر عاجله ، ولاندرى ما تخفيه الأيام .....الخ

وهنا قطع الحديث ابتسامة من ليلى فصفق الجميع معتبرين ان هذه موافقتها ، وفى ثوان قال كل منهما ما قاله .. انصرف باسم ووسيم ، وكان ما كان .

علق وسيم قائلا : ان ما يعجبنى فيك يا ليلى أقصد يا عبلة هو انك " حِركة " و " مروشنة "

وعلق باسم قائلا : حقا أن عبلة لها ملكه خاصة فى حسن التصرف .. انها تستطيع أن تغطى كل الأمور ، وبالكذب الأبيض تصل إلى هدفها سريعاً ، وتُوهِمُ الذين تتحدث معهم إنها صادقة تماما ... حقا لولا كذبك الأبيض يا عبلة ما كنت وصلت إلى ما أنت عليه الآن .

هيثم : يحيى الكذب الأبيض ، فهو الذى قرب المسافة بينى وبين حبيبتى .

الفصل الثامن : وكرت الأيام

وكرّت أيام عبلة كأيام الوشيعة ...
أظلمت حياتها بظلمة الانكار وقسوة الجحود ...
وإظلم عالمها لانها فقدت النور الحقيقى الذى ينير كل انسان ...
حقا ان حياة بلا مسيح هى ظلمة كاحلة ... ومن يحتملها ؟ !!!
كم قاست عبلة من ظلم الأيام ؟ !!
كلا .... انها لم تعانى من ظلم الأيام ولكنها قاست من ظلم نفسها لنفسها ...

هيثم الذى مدح انحرافها وكذبها على والديها ، تصور انها تكذب عليه فى مرات عديدة، فلم يرحمها من التقريع الذى وصل إلى حد الشتم والسباب ، عالما أنها قد صارت وحيدة فريدة ليس لها معين ولا سند .. لم يعد ملاكاً لطيفاً ولا شخصاً ظريفاً ، ولكنه كشف القناع عن وجهاً شرساً شيطانياً مريعاً ...

ما أكثر الجروح الغائرة التىاحدثها هيثم بنفس عبلة ... لقد عاملها مثل أمَة ... أنتهى الوجه اللطيف الظريف الجذاب " يا ليلتى ... أنت قمرتى فى ظلمتى " ، وانكشف الوجه القبيح " يا عبلة .. ما أنت إلا عبدة هبلة " ...

كان هيثم يعمل فى مكتب سياحة ثم اختلف مع صاحب المكتب فتعرض للطرد ، حيث امضى شهوراً بدون عمل عانت خلالها عبلة الأمرين .

ثم عمل هيثم فى مكتب إستيراد وتصدير ملك السيدة المطلقة الدميمة بهانه ذو الأربعين ربيعاً من عمرها .. لقد نصبت له شباك الحب ، واحب هو هذه الشباك بل عشقها ليس لشخصها ولكن لما لها من ثروة ترابية .. كانت تستدعيه مرات كثيرة ولفترات طويلة فى منزلها بحجة متابعة الأعمال ، فى كل مرة كان يخرج راضياً مسروراً منشرح الأسارير ، وهذا شجع الست بهانه فى التلميح له بحبها ، لكى يكون هذا الحب شريفاً وقانونياً فلابد أن يكون من خلال الزواج .. سعد هيثم بهذا الأقتراح وقد أوهمها بإنها لن تجد فى العالم كله إنساناً مخلصاً فى حبه لها ، وهو الوحيد القادر على رعاية مصالحها وإدارة اموالها صدقته وهى لا تتصور انه سيأتى اليوم الذى يسلب منها كل شىء قانونياً وبرضاها تحت تأثير سحر الحب الذى تفتقده ، واخيراً سيلقى بها خارجاً .. وماذا تنتظر يا صديقى من إنسان بلا مبدأ ؟! أليس الحيوان أفضل منه ؟!.. تزوجت بهانه من هيثم فى ليلة

من ليالى ألف ليلة وليلة ، وكم جرح هـذا الـزواج كبرياء عبلـة ، وحطم غرورها ، وكسر تشامخها ، واحتقر جمالها وسفه حبها .

ايضا أم هيثم ضاقت بعبلة التى عاشـت معهـا تزاحمهـا شـقتها الضيقة ذات الحجرتين ، وتقاسـمها لقمـة عيشـها ، والعجيب أنـه بقدر ما أغدقت بهاته العطاء لهيثم بقدر ما ضنّ هو بـالقليل علـى عبلة وابنتها التى رزقت بها منذ عام وأسمتها باسـمها السـابق " ليلـى " ، وعندمـا ضـاق الحـال جـداً بعبلـة التـى تربّت علـى العـز اضطرت للـنزول لميـدان العمـل تتحمـل المضايقـات والمتـاعب والرزالات والسخافات ، وكله يهون من أجل ابنتها ، فعملت تـارة موزعة لأدوات التجميل فى الصيدليات ، وتارة فى محل تصويـر ، وتارة فى محل سوبر ماركت ، وتارة فى عيادة احد الأطباء ..

واخيراً استقرت فى عيادة الدكتورة " رفقة " ، وكانت المفاجـأة السعيدة لها عندما علمت ان الدكتورة رفقة هى خالة ميرا سدراك ... كانت ميرا تتردد على خالتها فى العيـادة فكـانت مصـدر عـزاء لعبلة ولاسيما عندما تتحدث ميرا عفويا عن محبة الله ، وحنـانه ، ورعايته . كما أن الأستاذ سدراك مد لها يد العون ولاسيما عندمـا علم ما فعله هيثم بها ... لقد هيئ الله لعبلة هذه الفرصة الذهبيـة فـى أحضـان عيـادة الدكتـورة المُحِبة الأمينـة رفقـة لكيمـا تعـود

للاحضان الأبوية ، ولكنها للأسف لم تصرح بالحقيقة لاحد ، ولم تلجأ إليهم وتستنجد بهم لان هيثم الجبار نجح تماماً فى زرع الرعب فى قلبها من مجرد التفكير فى العودة لأهلها . لذلك نأت بعيداً عن اى فكرة للرجوع ، وامضت ايامها تجتر الآمها فى صمت حزين .. انه اسر الشيطان اللعين .

نجحت عبلة فى تربية ابنتها علمياً حتى انها التحققت بكلية الصيدلة ، لقد ارادت **تعويض** فشلها هى فى نجاح ابنتها ، ولكنها فشلت فى زرع بذرة الإيمان فى حياتها فشبت ليلى لا تعرف هويتها . هل هى سمائية أم أرضية ؟

وعندما التحقت ليلى بكلية الصيدلة ارادت أن تعيش فى مستوى صديقاتها واصدقائها ، ولاسيما أنها ورثت عن امها "النعرة الكذابة " بذلت الأم كل جهدها ولم تضن على ابنتها بشىء ؛ ولكن كيف العمل واليد قصيرة والعين بصيرة ، فراتبها بالإضافة إلى الجنيهات القليلة الذى يتصدق بها هيثم عليهما لا تكفى ..لقد تفتك ذهن الأم عن فكرة عجيبة تشبع بها جوع ابنتها للمال ، وسريعا ما نفذت هذه الفكرة واصبحت تملك عشرون الف جنيها . انها باعت كليتها من أجل ابنتها.. كل أملها وأمنيتها فى هذه الحياة الدنيا . جرى المال بين يدى ليلى ، ولم تُقدّر ولم تشعر ولم

تحس ان هذا المال ثمن جزء من جسد أمها ، فأخذت تصرف باسراف وبذخ ، ولم تلتفت إلى توسلات أمها التى تدعوها للحكمة فى الصرف والتصرف ..

ومع الأيام لاحظت الأم أن ابنتها بدأت تستخدم نوع من الطلاء الأسود ليس لاظافرها فقط ولكن لشفتاها ايضاً ، وعشقت التيشرتات السوداء التى تحمل رسومات الجماجم والعظام ورائحة الموت ، بالإضافة إلى البنطلونات أو الجيبيات السوداء ، واكثرت السماع لأنواع غريبة من الموسيقى الصاخبة ، كما انها وضعت ملصقات عجيبة على الجدران .. كل هذا مع تغير فى سلوكها ومعاملاتها إذا اصبحت الطفلة الوديعة اللطيفة فظة قاسية شرسة .. حاولت الأم التقرب من ابنتها لكشف المستور واستجلاء الحقيقة ، ولم تجد ليلى صعوبة فى كشف حقيقتها أنها اصبحت من عبَدة الشيطان . اعترفت قائلة :

لقد تصاحبت على مجموعة من الشابات والشباب المتحررين الذين يعشقون الحرية ، ويدركون ظلم المجتمع وقسوته الذى يحتقر الحرية .. انهم يتمتعون بقدر كبير من النقمة على هذا المجتمع الذى يحرم الحرية... ذهبت معهم إلى فيلا بالعجمى ، وفى البدروم وجدت نجمة ضخمة مرسومة على الأرضية ، أما

الجدران فقد طليت بـاللون الأحمـر وكذلـك السـقف .. احتفلـوا بانضمامى إليهم وسقونى مـن دم القطـط التـى ذبحوهـا ، واطلقوا البخـور بعد أن خفضـوا الإضاءة إلـى حـد كبـير .. تشـابكنا فـوق النجمة ورقصنا ساعات طويلة ، احضر الشيمى صليبا كبيرا رفعـه فى وضع مقلوب فكسرنـاه واحرقنـاه ونحن نغنى الأغانى التى تمجد رئيس هذا العالم ورئيس سلطان الهواء .

جاءت هذه الأخبار كمطرقة ضخمة تهوى علـى رأس عبلـة .. حاولت جاهدة إخفاء اثار الصدمة والتودد لابنتها قائلة :

يا ليلى يا حبيبتى .. لايهم ما حـدث ، إنها شـقاوة الشـباب ولكـن المـهم أن تعرفى أن هذا الطريق خاطئ لانـه طريق المـوت ، ولابـد أن تقطعى علاقتك مع هذه المجموعة المنحرفة .

ليلى : لايمكن .. يستحيل لاننى دخلت فى عهد مع الصديق الأعظم ، واننى مستعدة أن اطيعـه وأنفذ اوامـره حتـى لـو طلـب منـى أن اقتلك .

سالت دموع الأم غزيرة ، وحـاولت جاهدة ان تكمل الحديث :

يا ليلتى يا بنتى يا حبيبتى ... أنا تحملت ما لايتحمله إنسـان مـن أجلك لكيما اراك إنسانـة ناجحة فى بيتك وفى وطنك ، فليـس كثـير عليك أن تطيعى أمك حبيبتك وتستمعين للنصيحة .

ليلى : الطاعة شئ والحرية شىء آخر ... قد يتعارضان وقد يلتقيان ، وعندما يتعارضا فلتنتصر الحرية ولتنهزم الطاعة .. الحرية أفضل من الطاعة ، وبدون الحرية لا معنى ولا لزوم للحياة

.

الأم : هذا صحيح ولكن أى نوع من الحرية تقصدين ؟ لابد أنك تقصدين الحرية التى لاتؤذيك ولا تؤذى الآخرين .

ليلى : أننى حرة فى اختيار الحرية التى تروق لى .. قولى لى :

ألم تختارى أنت الحرية التى راقت لك ؟!

ألم ترفضى ليس وصية والديك فقط ، بل رفضت بيتك واسرتك وذهبت بعيدا؟

ألم تفضلى هيثم عن اهلك وربك ؟

ألم ؟! .. ألم ؟! ... ألم ؟ !!

كانت هذه الكلمات خنجر حاد طعنت به ليلى أمها عدة طعنات قاتلة ... لقد بعثت فيها شعوراً قوياً بالعودة .. أنها تريد أن تركض بكل قوتها لتلقى بنفسها تحت أقدام والديها تستغفرهما ، ولكن أين هما ؟! لقد مات أبيها بسببها بعد أن طعنته بسكين العار والفضيحة والحسرة ، ولاتدرى شيئا عن أمها .. اذرفت عبلة سيل من الدموع وهى تنسحب من المناقشة وقد خسرت الجولة .

لم ترد عبلة أن تستسلم وتسلم بضياع ليلى .، لذلك استدعت أبيها لكيما ينقذها ... ولكن من ينقذ من ؟ هل هيثم الذى لا يعرف اى معنى للحب يقدر أن ينقذ ليلى ؟! كلا .. الإنسان الذى يغوص فى الوحل لا يقدر أن يرفعه وينقذه إلا الحب ، فهل قدم هيثم هذا الحب لابنته ؟ أنه بحماقة أغلظ لها القول مهدداً اياها بتسليمها للبوليس ، وامتدت يده لتصفعها .. كما أنه لم ينسى أن يكيل الأتهامات والسباب والشتائم للأم المكلومة ، وكانت النتيجة لهذا اللقاء أن تركت ليلى بيتها وهربت بعيدا .. وذهبت الأم تبحث وتسأل بدموعها فى كل مكان عن وحيدتها ...

بعد عدة اسابيع استدعى البوليس هيثم وعبلة ليسلم لهما ابنتهما التى ضبطت فى حفلة ماجنة ..

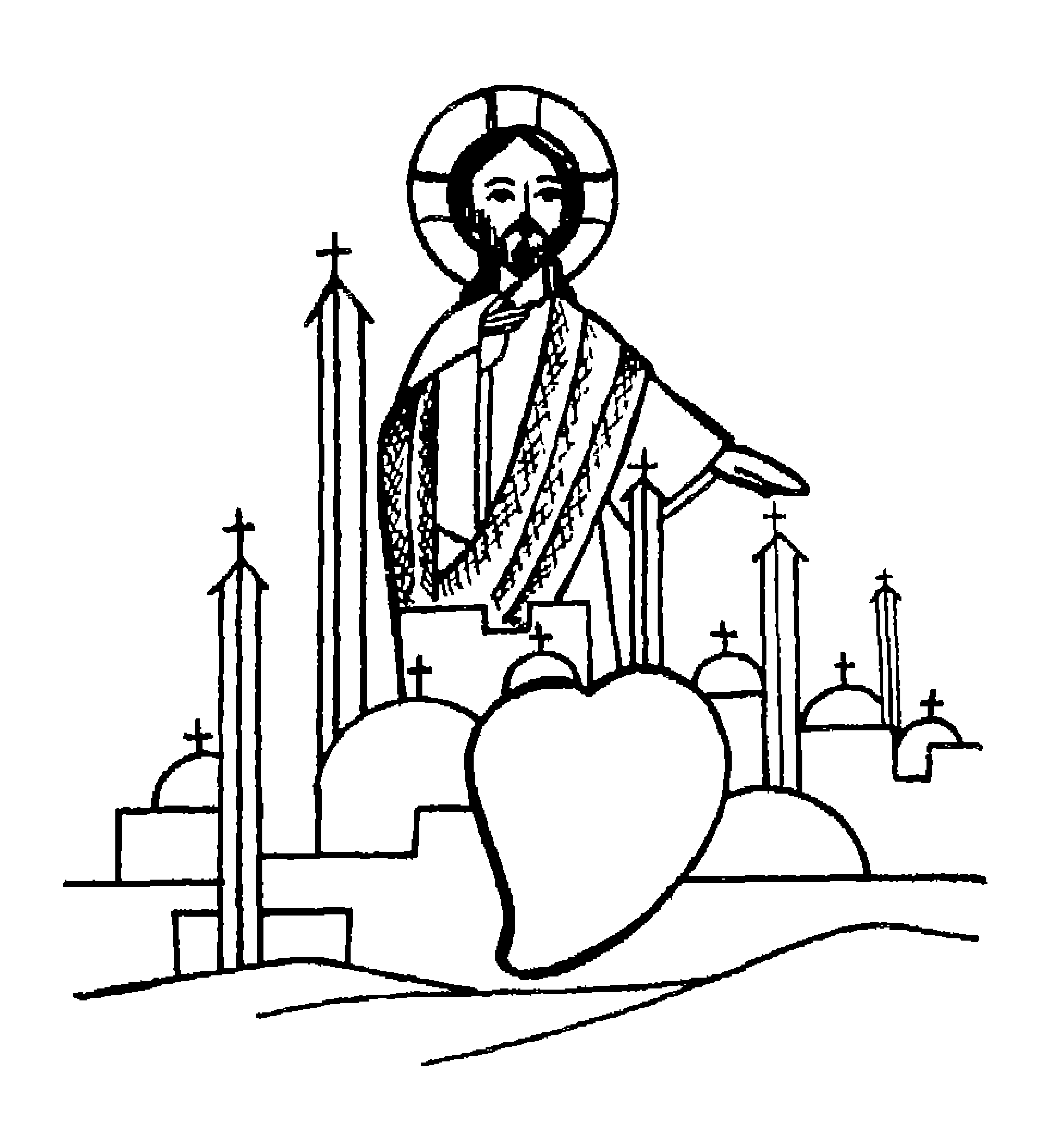
وما فسد كيف يمكن اصلاحه ؟!

وما تحطم كيف يمكن تصحيحه ؟!

عاشت عبلة حياة جريحة كريهة حتى كرهت الحياة .. عاشت فى خصام مع الواحد ومع الكل .. خاصمت ربها وخاصمت اسرتها وزوجها وابنتها التى تعيد قصة الجحود والعصيان .. فكل ما فعلته عبلة بأهلها فعلته ليلى بها ..

هذه هى الحياة ، وهذا هو قانونها أن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد .

الأمر المحزن أن هذه العباءة لم تقوى على اتخاذ قرار العودة للاحضان المفتوحة حتى كرت الأيام .



الفصل التاسع : السماء

وفى يوم من الأيام حضرت إلى عيادة الدكتورة رفقة الأم أغابى التى تعانى من اضطراب فى ضربات القلب ... قابلتها الدكتورة بترحاب شديد فهى تعرفها منذ سنين طويلة حيث كانت تزور دير القديسة فيرونيا ، ايضا كانت عبلة تسمع عن الأم أغابى خلال أحاديث الدكتورة مع زوجها أو احبائها ، فإنها اسم على مسمى إذ أنها مشحونة بطاقة الحب للجميع ، وهذا ما لمسته عبلة عندما التقت بها لأول مرة وتعرفت عليها ، الدكتورة لاحظت اضطراب عبلة عند لقائها مع الأم أغابى ، ولكنها تجاهلت الأمر .. لم تسألها لئلا تحرجها فى شئ ، وهى لا تدرى أن هذا اللقاء فجّر طاقات المشاعر المدفونة داخل عبلة ، وانه قد زلزل كيانها .. لماذا ؟!

لان الأم أغابى ليست غريبة عنها .. أنها هى هى بعينها دميانة ابنة عمتها صاحبة الوجه الملائكى ، حتى أن شحوب المرض لم ينجح فى ازالة البسمة الملائكية التى ارتسمت على محياها . أما الأم اغابى فإنها لم تنتبه أنها أمام ليلى إبنة خالها شاكر لأن

السنون قد خطت خطوطاً أليمة على وجهها فغيرت معالمها القديمة وظهرت كإنها إنسانة أخرى .

تكررت زيارات الأم أغابى لعيادة الدكتورة رفقة ، وفى كل مرة كانت عبلة تَظهِر لها الود والحب ولكنها لم تقوى على الإباحة بسرها الدفين ، وفى يوم قالت الأم اغابى : يبدو يا دكتورة ان هذه الزيارة الأخيرة لكم .

رفقة : لماذا يا أمنا ؟ لا سمح الله هل ضايقك احد ، أو قصّرنا فى حقك ؟!

الأم أغابى : كلا يا ابنتى .. كلا .. الله يعوضك تعبك الكثير معى ، ولكنى رأيت رؤيا وعلمت مصيرى .

رفقة : خير إن شاء الله يا أمنا ... ماذا رأيت فى هذه الرؤيا ؟

سمعت عبلة هذا فتسمرت فى مكانها بينما راحت الأم أغابى تحكى رؤيتها وهى مبتهجة فقالت :

رأيت ملاكاً قادماً من السماء يقول لى : ايتها الأم أغابى لقد انتهى زمان حياتك .

قلت : ألا تترك لى فرصة لاقدم توبة

قال : يكفيك ما قدمتيه من دموع محفوظة فى ذق عنده ..

يكفيك ما قدمتيه من اعمال المحبة واهتمامك بإخوة الرب..

يكفيك تشجيعك لصغار النفوس ..

يكفيك السهر والدموع والمطانيات والأُصوام والصلوات ..

قلت : هذا لا يكفينى ايها المـلاك ، ولكـن كفـايتى فـى دم المسيح المسفوك من أجلى .

قال : هذا حق ياأمنـا..ولكن أعمالك الحسنة تُزكيك أمامه ، كما أن كل إنسان سينال حسب عمله أن كان خيراً أو شراً .

قلت : لتكن إرادة الله هوذا أنا أمة الرب........

عندئذ حملنى الملاك إلـى الأجـواء العليـا .. حـامت حولـى الأرواح الشريرة تحاول اقتناصى قائلين : لنفحصها لئلا يكون لنا فيها شيئا ، فيجرد المـلاك سيف من نار ويطردهم بعيدا ...

وسريعا وصلنـا إلـى السـماء ، فـأعطيت ثيابـاً ناصعة البيـاض وكأنهـا مجهـزة لـى خصيصـاً .. انزهلـت عندمـا وجـدت إلهـى ومخلصى وملكى فـى إنتظـارى ... نظـر لـى نظـرة تفيـض بـالحب والحنان والمودة واللطف والرأفة والشـفقة والتشـجيع والإعـزاز ، ورحب بى ترحيبا حاراً ... سـجدت لـه فأقـامنى ووضـع يـده علـى رأسى ليباركنى ، وبمجرد أن لمستنى يده شـعرت بسـعادة تفـوق الوصـف .. أخذنـى الـرب وأُرانـى كـل صفـوف وطغمـات الملائكـة ورؤسـاء الملائكـة والشـاروبيم والسـيرافيم والأنبيـاء والرسـل

والشـهداء والمعترفين والقديسـين ثم قـادنى إلـى مكـانى فـى السـماء .. أنـه مكـان رائـع لا استحقة علـى الإطـلاق ، كمـا انـه اعلمنى أن زمان انطلاقى من هذاالعالم قد حان

اغرورقت عينى رفقة بالدموع وسألتها :

يا أمنا .. هل رأيت السماء ؟ هل تصفينها لى ؟

فتحت الأم أغابى فاها المبارك وقالت :

السماء ... السماء ما أروعها ؟!

وما أجمالها ؟!!

وما أبدعها ؟ !!!

لا أستطيع أن اقول شىء غير ما قاله الإنجيل :

" ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه "

رفقة : هذا لا يكفينى ، ولا يروى ظمأى .. صفى لى على قدر مـا تستطيعين.

الأم أغابى : أن اللغة البشرية فقيرة وعاجزة عن وصف السماء ، وأنا الضعيفة يستحيل علِى أن أنقل لـك صورة السـماء ، ولكننـى ساحاول حسبما يسمح ضعفى بهذا .... هذه المدينة هى :

مدينة المجد والغنى ... فمجد الله يكسوها من الداخل والخارج . أما أرضها فمن الذهب النقى اللامع وجدرانها أشبه بالبلور .

مدينة الرحب والسعة ... تكفى الجميع وتزيد .. يهىء لى أن طولها يبلغ أكثر من الالفى كيلومتر وهكذا عرضها .

المدينة الحصينة .. فسور المدينة مرتفع جداً ، وبه اثنى عشر بابا . كل باب عبارة عن لؤلؤة واحدة يقف عليها ملاك جبار ، ولا يقدر الشيطان أن يتسلل إليها .. أنها مدينة بلا شيطان وبلا فخاخ شيطانية .

مدينة مشتهى ابراهيم أب الأباء الذى كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله .. ما أجمل هذه الأساسات ؟ ! وما أبدع الوانها ؟! كل أساس قد نُقِش عليه اسم واحد من رسل الخروف .

مدينة الملك العظيم .. الجالس على شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح ، والعرش محمول على أربعة حيوانات مملوءة أعيناً: وحول العرش أربعة وعشرين قسيسا متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم اكاليل من ذهب.

مدينةِ الجموع الغفيرة... التى أتت من كل أمة وقبيلـة ولسان على مدار الأجيال ... ما يفرحك أن كثيرين يـأتون مـن المشـارق والمغارب ويتكئون فى حضن إبراهيم ، وما يحزنك ان كثيرين مـن بنو الملكوت طرحوا خارجا .

مدينة النور .. لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيهـا لان مجد اللـه قـد أنارهـا والخروف سـراجها ، وتمشـى شـعوب المخلصين بنورهـا ... تـرى فيهـا الـوان الطيـف ولاسـيما اللـون الأزرق واللون الأخضر اللذان يريحان النظر ويبهجان العين .

مدينة حسن المكافأة ... يأتى الشهداء حاملين عذاباتهم ويـأتى القديسين حاملين فضائلهم فيضيئون كالشمس فى ملكوت ابيهم .. يجلسون على عروشهم واكاليل الذهب على رؤوسهم .

مدينة الحب ... فلا اثر للبغضة أو الكراهية ، ولكن الله المحبـة صار الكل فى الكل ، وارتوى الجميع من هذا الحب الألهى

مدينة الألفة والصداقة .. فلا تجد إنساناً منطوياً أو متروكاً بـل الجميع يعيشون فى انسجام كامل وألفة وصداقة عجيبة .

مدينة الأتضاع .. لا مكان فيها للتشامخ ولا الكبرياء .

مدينة الشبع والراحة .. فلن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من البحر لان الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية .

مدينة الصحة والعافية ... لا يقترب منها مرض والموت لا يوجد فيما بعد .

مدينة السلام .. لم يعد هنا صراع بين الإنسان ونفسه بين الجسد و الروح ، ولم يعد خصام بين الإنسان و الآخرين .

مدينة النشاط .. التىلا يدخلها الملل ولا الضجر ولا الضيق .

مدينة السعادة الأبدية والفرح الدائم .. سيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد .

مدينة الهدوء .. التى هرب منها كل إزعاج وتشويش وامر ردئ .

مدينة التسبيح الدائم .. وسمعت صوت ضاربين بالقيثارة ويضربون بقيثاراتهم ، وهم يترنمون ترنيمة جديدة .. ما أروع الموسيقى السمائيه التى تشنف الاذان وتشبع النفس ، وشتان بين

الموسيقى الملائكية وموسيقى العالم الصاخبة التى تؤذى السمع وتزعج النفس .

مدينة الشفاء والطهارة والقداسة .. فالأجساد قد تنقت من كل لذة حسية ترابية .. انها اجساد ممجدة لطيفة لاتحتاج للطعام والشراب المادى ، لاتعرف التعب ولا الأجهاد .. خفيفة وسريعة الحركة تستطيع ان تنتقل فى لمح البصر .. كل إنسان يظهر فى أفضل صورة كان فيها على هذه الأرض ، ولا تعرف المدينة العجز ولا الشيخوخة فالشباب دائم للآبد ، واصحاب العاهات قد اختفت عاهاتهم .

مدينة المعرفة .. فالارواح قد استضاءت واستنارت كل إنسان يعرف جميع من سبقوه وكل من لحقوه ، والجاهل بالمعرفة الأرضية يصبح حكيماً فى السماء ، حتى أن الذين ذهب ابنائهم أو أبائهم إلى الجحيم يعرفون انهم ذهبوا بإرادتهم الشخصية رغم التنبيهات والتحذيرات الإلهية .. لم تكن إرادة الله هلاكهم لانه كان يريد ان الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون .

مدينة المناظر الإلهية ... كنت قد ذهبت إلى شاطىء عجيبة بمرسى مطروح أتامل فى الطبيعة التى تتحدث عن جمال الخالق ولكن لا عجيبة ولا أروع المناظر على هذه الأرض يساوى اليسير

من المنـاظر السمائية .. يكفيكِ ان تنظرى إلـى العـرش الإلهـى المحمول على الأربعة الحيوانات غير المتجسدين الملتهبين نـاراً والمملؤين أعيناً ، ومن العرش تخرج الرعود والبروق والأصوات قائلة :

" سبحوا إلهنا يا جميع عبيده الخائفين اسمه الصغار والكبار " .

وحولـه الأربعة والعشرون قسيساً جالسـين علـى عروشـهم متسـربلين بثيـاب بيض وعلـى رووسـهم اكاليل الذهـب يسـجدون ويرتلون : هللويا ، وأمام العرش بحر الزجاج شـبه البلـور وكأنـه مختلط بنار يقف عليه المؤمنـون بثيـابهم البيض ومعهم قيثـارات الله وهم يرنمون ترنيمة موسى عبد الله قائلين :

" عظيمة وعجيبة هى اعمالك أيها الرب القـادر علـى كل شـىء . عادلـة وحق هـى طرقـك يا ملـك القديسـين . مـن لايخـافك يـارب ويمجد اسمك لانك وحدك القدوس "

وهنا كفت الأم أغابى عن الحديث ...

لقد إنتابتها نوبة قلبية حادة فازرقت شفتاها وشحب وجهها .. انزعجت الدكتورة رفقة وأسرعت تُجرى لهـا الأسـعافات وهـى تعلـم انهـا النهايـة ، أمـا عبلـة فلـم تقـوى علـى كبـت مشـاعرها فصرخـت : دميانـة ... دميانـة .. واسـرعت إلـى التليفـون تريـد

استدعاء الأسعاف لنقلها إلى العناية المركزة ، ولكن الأم أغابى فهمت وأومأت لها حتى لا تتصل باحد ، واشارت لهما لكيما يهدأ قليلا . مرّ وقت عصيب ثم بدأت تسترد انفاسها .. نظرت إلى الساعة وهمست إلى رفقة التى لم تكف عن محاولة الإسعاف مع الصلاة القلبية قائلة :

إن ساعتى لم تأتى بعد .. ما زال امامى خمسون ساعة . الأمر المدهش انه خلال ساعة تحسنت الأم أغابى تماماً ، وكأنه لم يكن بها آى مكروه ، وسألت عبلة : ياأختى عبلة .. ماذا كنت تقصدين وأنت تنادين يا دميانة يا دميانة .. ارتبكت عبلة ولم تقوى على الإباحة بالحقيقة بأنها ليلى ابنة خالها شاكر وانها كانت تناديها باسمها الذى تعودت عليه ، فتعللت بأنها كانت تستنجد بالشهيدة دميانة .. كانت مشاعر رفقة ملتهبة نحو السماء ونحو الأم أغابى ، فقالت لها : حديثك عن السماء نقلنى إلى هناك .

قالت الأم أغابى : سأكمل لكم حديثى عن السماء ... لقد رأيت مجموعة من القديسين يتحدثون بعظائم الله ، وسعدت جداً بوجود خالى شاكر فى وسطهم الذى أنتقل للملكوت بسبب مشكلة صعبة ألمت به .. رحب بى كثيراً وقال لى:

يا أمنا أغابى :

أن الأبدية هى دوام بـلا ختـام ، ووجـود بـلا حـدود ، وحـاضر بـلا ماضى ولا مستقبل . حياة بلا موت . نـهار بلا صباح ولامساء يوم بـلا أمـس ولا غد . .. سـمعت عبلـة هذا ولـم تقـوى قدماهـا أن تحملاها فانسلت من الحجرة ، والقت بنفسـها علـى كرسـى فوتيـه بالصالـة ، ولاح أمام عينيـها السيـارة " الـلادا " الزرقـاء التـى القـت بنفسها فيها من قبل ... بينما اكملت الأم أغابى حديثـها السـماوى الذى سمعته فى حلمها أو رؤياها :

ابينا ادم : كنا فى الفردوس نتمتع بحـب اللـه ولا ينقصنـا شـىء ، اما الآن ونحن فى الملكوت فالوضع أفضل بما لا يقاس .

فم الذهب : كنا غير مستحقين للبقاء فـى الأرض فرفعنـا اللـه إلـى السموات .

مارافرام : كنا بنو الظلمة فصرنـا بنى النـور .. كنـا عـراة فسـترنا وصيرنا وارثين معه فى الميراث الأبدى .

ابونا منسى يوحنا : حقا يا اخوتـى لـو جمعـت كـل مفـاخر الملـوك العالمية منذ بدء الخليقة ووضعت علـى هامـة ملـك واحـد فإنـهـا لا تعادل ولا تشابه المجد الذى نحن فيه . إننا فى ملك سماوى إلـهـى أبدى .

أبينا يعقوب : هنا الفرح ياأولادى دائم إلى الأبد . ليس مثل فرح العالم الذى كان سريع الزوال .. يا ابى ادم عندما فرحت بولادة هابيل ألم يتحول فرحك إلى حزن عندما قتله أخوه ؟!

وأنت يا شمشون ألم يتحول فرحك إلى حزن عندما زالت قوتك عنك ؟!

أنا ايضاً فرحت بيوسف وصنعت له قميصاً ملوناً ولكن فرحى انقلب إلى حزن عندما سمعت خبر موته .

ابونا منسى يوحنا : لنبتهج يا اخوتى لاننا عبرنا بحار مصائب العالم ، وخلصنا من تجاربه المرة ، وإنتهينا من ديار نحيبه ومن محاربات الأعداء المقاومين .. كيف لا نبتهج ونحن سابحون فى بحار افراح ليس لها قرار .. إننا محمولون على افلاك السماء على أجنحة حمامة مغشاة بفضة وريشها بصفرة الذهب .

اغسطينوس : الفرح يا اخوتى فى بيت الله ابدى .. إننا فى عيد لا ينقضى مع طغمات الملائكة فى رؤية الله .

هارون : هل تذكر يا موسى كيف انبهرنا عندما رأينا شبه مجد الله وكان تحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاء .. لقد علمنا الآن إننا لم نرى إلا اليسير من مجده .

يعقوب الرسول : قولك حق يا أبى هارون لان ما رأيته مع بطرس ويوحنا على جبل التجلى لا يوازى ما نحن فيه الآن من أمجاد .

حزقيال : أنا ايضاً قد عاينت القليل من مجده على نهر خابور أما الآن فإنى أعاينه وجها لوجه .

بولس الرسول : كنت أعرف بعض المعرفة أما الآن فإنى أعرف كل شىء .

وهنا لمع مجد الله لهم فصرخ حبقوق قائلا :

جلالك يارب غطى السموات .. لنور سهامك الطائرة .... للمعان برق مجدك .. ابتهج بك يارب وافرح بإله خلاصى .

وآساف المرنم رنم على قيثارته الذهبية :

من لى فى السماء .. ومعك لا أريد شيئا

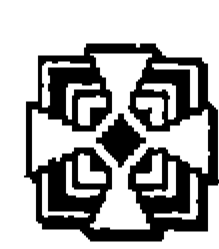
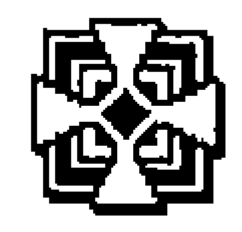
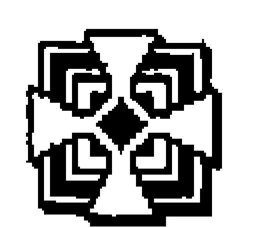
وانشد بنو قورح نشيدهم :

ما أحلى مساكنك يارب الجنود ... طوبى للساكنين فى بيتك ابداً يسبحونك .

نظر أشعياء النبى إلى ملابسه البيضاء وقال : فرحاً افرح بك يارب .. تبتهج نفسى بإلهى لانك البستنى ثياب الخلاص .. كسوتنى رداء البر .

وهنا انشدت جوقة من الملائكة مع زمرة القديسين : هللويـا . سبحوا الرب فى السموات . سبحوه فى الأعالى . سبحوه يا جميع الملائكة . سبحوه يا كل جنوده .. هللويا .. ترنموا للرب ترنيمـة جديدة . تسبحته فـى جماعـة الأتقيـاء ..ليفـرح اسـرائيل بخالقـه . ليبتهج بنو صهيون بملكهم .

عقب هذا اللقاء السماوى انطلقت الأم أغابى إلى ديرها ، وعادت الدكتورة رفقه والأخت عبلة كل إلى بيته .

الفصل العاشر : لا ..لا احب قبرى

فى اليوم التالى جاءت الدكتورة رفقة إلى عيادتها كالعادة .
ولكنها لاحظت أن عبلة جالسة سارحة بعيداً بفكرها وتبدو على وجهها عبوسة فسألتها : ما بالك يا عبلة مكمدة الوجه .. ليس مثل أمس ولا أول من أمس .

عبلة : لا .. لاشئ يا دكتورة .

الدكتورة : ألسنا إخوة وأصدقاء ؟ لماذا تخفين علىّ ما يضايقك ؟

عبلة : الحقيقة يا دكتورة إننى رأيت حلماً مزعجاً للغاية .

الدكتورة : ماذا رأيت يا عبلة ؟

عبلة : لقد كان كابوساً رهيباً .. العجيب إننى اذكره بكل تفاصيله ، وأذكر الحديث جملة جملة وربما كلمة كلمة ..

وقف أمامى ملاك الموت يقول : هيا ....

قلت : إلى أين ؟

قال : قد إنتهى زمان حياتك ... والآن إلى القبر يا عزيزتى

صرخت وقلت : لا....لا ....لا أحب قبرى .

كيف احتمل ؟

عندما ينزل الملائكة الغلاظ الأشداء سود الوجوه ومعهم مسوح من نار ، ويقبضون روحى فيضعونها فى تلك المسوح ، وتفوح رائحتها النتنة كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض ... عندما يأخذون روحى إلى الجنة فتغلق أبوابها أمامى ، فيلقوننى من هذا الإرتفاع الشاهق فأعود إلى جسدى ... عندما يأتى الملاكان الأسودان ويسألاننى : من ربك ؟ وما دينك ؟ فأجيب : لا أدرى لأننى حقيقة لا أدرى ، فينادى المنادى : لا دريت ولا تلوت فيضيق على قبرى حتى تتحطم اضلاعى ، ويظهر الرجل القبيح والوجه النتن الرائحة ويقول : أنا عملك الخبيث .... عندئذ يهجم على الرجل الأعمى الأصم الأبكم بالمرزبة التى لو ضرب بها جبلا لصار تراباً ، فيضربنى فأصير تراباً ثم أعود ثانية فيعيد ضربى ، عندئذ سيسمع صراخى البهائم والحيوانات ولوسمعه إنسان لصعق ...وماذا أفعل أيها الملاك عندما يهجم على السبعين تنينا ، ولو أن واحد منهم نفخ فى الأرض ما أنبتت إلى الأبد .

قال الملاك : إطمئنى يا فتاتى ... أنك فى القبر سترقدين كرقاد النوم حيث يعود الجسد إلى التراب ، أما روحك فتظل فى مكان الإنتظار حتى اليوم الأخير حيث يبوق رئيس الملائكة الجليل سوريال مُعلِنا المجئ الثانى للملك المسيح ، عندئذ ينال كل إنسان

حسب أعماله خيراً أو شراً ، فيذهب الأبرار إلى ملكوت السموات ويطرح الأشرار فى بحيرة النار والكبريت المعدة لإبليس وجنوده ....

قلت : كفى يا ملاك كفى ... لقد صعبّت الموقف كثيراً ، ولكن ما يهمنى الآن هو قبرى ..

لا أريد أن أدخل من بابه الضيق ، ولا أحب أن أسكن ذاك المسكن الموحش ...

هل سيهيلون علىّ التراب ؟! وهل سيغلقون قبرى ؟!

ولماذا ؟ أيخافون من هروبى وأنا لا أملك قوة فيما بعد ؟!!

وهل ؟ وهل ؟ وهل ؟ ....

لا أريد ان اذهب إلى هناك .

قال : يا فتاتى .. هذا هو طريق الأرض كلها ...

قلت : هذا ظلم وقسوة ...

لماذا تحكمون علىّ بالسكنى فى الظلمة ؟

أن القبور مهجورة يا ملاك ....

إنها ليست نظيفة على الإطلاق فهى مملوءة بالحشرات ....

إنها مدينة الأشباح مسكن الشياطين والأرواح النجسة ..

إننى أخشى سكنى هذه المدينة يا ملاك ..

لماذا تنقلنى من النور إلى الظلمة ؟
ومن الحياة إلى الموت ؟
ومن الحركة إلى السكون ؟
ومن القوة إلى الضعف ؟
ومن المجد إلى الفساد ؟
الملاك : أنه يزرع فى فساد ويقام فى مجد ... يزرع فى ضعف ويقام فى قوة .. ليس هو موت بل إنتقال ...
قلت : كلا ... كلا يا ملاك...
أنت تتحدث عن أتباع الناصرى الذى قهر الموت ... إنه رب الحياة ولم يكون ممكنا أن يُمسك منه .. لقد وهب اتباعه القوة فلا يرهبون الموت ... اما أنا فقد رفضت طريقه .. أننى لا أريد هذا القبر .. ألا ترحمنى وتشفق على وتعفينى من هذا الطريق ؟
قال : لا أستطيع يا عزيزتى ...ينبغى أن يطاع الله اكثر من الناس
قلت : القبر .... وما أشره؟!
هل سيصبح حتما مستقرى؟
الملاك : انه ليس مستقر لكنه بوابة العبور من الأرض للسماء...
من هذا العالم الفانى للعالم الباقى ...
من الزمنيات إلى الأبديات ...

عندما يغلق المؤمن عينيه عن هذه الأرض تنفتحان على السماويات ، وما أروع أمجاد السماء ؟ .. اما هذا الجسد يا فتاتى فإنه خيمة مؤقته تخلعها الروح الخالدة ..

قولى لى : عندما تقصين أظافرك أو شعرك هل كنت تهتمين بالمخلفات أم تُلقينها فى المذبله ؟

قلت : حقا يا ملاك ... كان هذا يحدث مراراً وتكراراً ولكن ما علاقة اظافر مقصوصة لا فائدة منها أو قصاصات من الشعر تعتبر عبء على رأسى ... ما علاقة هذا بموتى وقبرى ؟

الملاك : هكذا الجسد يا صديقتى بعد فراق الروح عنه يصبح مثل الأظافر أو قصاصات الشعر التى أنت فى غنى عنها ... دعينى احدثك عن الأنبا ارسانيوس معلم أولاد الملوك لقد احاط به تلاميذه ساعة الإحتضار يسألونه: هل تحب أن نبنى كنيسة على جسدك ؟ فرفض .. هل تود أن نضع جسدك تحت مذبح الكنيسة ؟ فرفض ثانية .... هل تريد ان نصنع لك مزاراً يتبارك منه أولادك ؟ فرفض ثالثه ... فسألوه : إذن ماذا تريد ؟

قال: أربطونى بحبل وأجذبونى إلى الصحراء ... هناك تطرحوننى لعل الطيور والوحوش تأكلنى وتستفيد من هذا الجسد .

قلت : يا ملاك الله أنت تحدثنى عن قديس ... مالى أنا والقديسون ؟ أننى أنكرت إيمانى .. جحدت مسيحى .. طرحت صليبى ..إننى حقيقة عبلة العبدة الهبلة ، واستحق كل ما يأتى على ، ولكن قل لى يا ملاك أليست التوبة مقبولة ما دام الإنسان حيا .. هوذا أنا حية بعد.. أليس كذلك ؟ أريد ان أتوب .. أريد ان أتوب .

الملاك : نعم .. أنت مازلت حية بعد.

قلت : اذن سأتوب ..سأدخل الملكوت ..

ولكن كيف أتوب ؟

ما معنى التوبة ؟!!

إننى لا أفهم ، ولا أدرك ، ولا أستطيع ، ولا أقوى ..سمعت ان اللص اليمين اعترف بالمسيح وتاب فى لحظاته الأخيرة ..فما بالى لا أقدر ان افعل مثله ؟ !

الملاك : لانه لم تكن له فرصة لقاء مع السيد المسيح إلا فى هذه اللحظات ...إنه لم يرى المسيح متجلياً على طور طابور فى مجد أبيه لكنه رآه مضروباً مهاناً معلقاً على خشبة العار ، رغم هذا اعترف أنه ملك الملوك ورب الأرباب ، فإستحق أن يسرق الملكوت ...

قلت : حقا ما أشقانى ايها الملاك ؟
لقد ولدت فى مملكته ولكننى تنكّرت له ...
لقد دعانى فاشحت بوجهى عنه ...
لقد عشت لذاتى وأهوائى وشهواتى ...
إننى خسرت كثيرا كثيرا وكل شئ ..أن الموت خسارة يا ملاك..
الملاك : بالنسبة للأمناء فإن الموت ليس خسارة ولكنه ربح وفير
" لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح "
قلت : حقيقة انى خائفة ومرتعدة ايها الملاك من موتى وقبرى ونهايتى البشعة ...
الملاك : الأمناء لا يرهبون الموت .. لايخافون القبر .
دعينا نسأل التاريخ عن هؤلاء الشجعان الذين احتقروا الموت وازدروا به ، وعاشوا وصية المسيح " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد "
التاريخ : ما أكثر هذه النماذج المشرفه والبطولات الرائعة التى رصدتها بعدستى ، وحفظتها فى طيات صفحاتى ... لو حدثتكم عن واحدة فواحدة فالوقت لن يتسع على الإطلاق .. ان هذا سيعوقك عن اداء مهامك أيها الملاك.
الملاك : يمكنك ان تتحفنا بنماذج قليلة فى دقائق معدودة .

التاريخ : فوكا البستانى ... ذات مساء اقبلت فرقة الجنود بعد ان قطعت مئات الأميال إلى القرية التى يقطنها فوكا لكيما تقبض عليه وتنفذ فيه حكم الأعدام .. سألوا رجلاً عن فوكا ، وكان هذا الرجل هو فوكا بعينه ، وفهم مغزى السؤال فقال لهم امكثوا معى هذه الليلة ، وفى الصباح سأقودكم إليه ....

إستضافهم وأكرم وفادتهم .. كان بشوشاً معهم حتى ذهبوا للنوم وذهب هو إلى الحديقة يحفر قبره بيده... وفى الصباح وقف بشجاعة يعلن لهم عن شخصية المضيف ... انه هو فوكا .. أندهشوا وأنذهلوا وتأثروا كثيرا ولكنهم لم يجدوا مناصا من تنفيذ الأوامر .

والأنبا بصادى الأسقف ارتدى ثياب الخدمة وهو ذاهب للإستشهاد ، وعندما سأله أحد الشمامسة : لماذا ترتدى ثياب الخدمة البيضاء ، فقال له : يا ابنى أنا ذاهب إلى حفلة العريس فكيف لا ألبس الملابس البيضاء ؟!

وفى العصر الحديث وقف ابونا عبد المسيح المقارى أمام باب الكنيسة يوم احد الشعانين يدعو الناس قائلا : " تعالوا الفرح .. أنا ها تجوز يوم العيد الساعة تسعة صباحا " ، وظن الناس انه

نوع من المزاح ، ولكن فى الساعة التى صرح بهـا كـانت جنازتـه التى إعتبرها يوم فرحه وأكليله .

والقمص متى باسيلى فى نهايـة شـهر مـارس سنة ١٩٦٨ م كتب نعيه الخاص به " إنتقل إلى المجد القمص متى باسـيلى خـادم ديـر المحـارب وهـو والـد .... " وكتـب عـدة خطابـات لأحبائـه يستدعيهم لحضور جنازتـه يـوم ٣ أبريـل ١٩٦٨ م .. كـان يقـول العذراء جايـه يـوم ٢ أبريـل وأنـا مسـافر ٣ أبريـل ، وفعـلا تجلت السيدة العذراء على كنيستها فـى الزيتـون يـوم ٢ أبريـل ، وإنتقـل أبونا متى يوم ٣ أبريل ، ورقد فى سلام .

أرملة ربت اولادها فى مخافـة الـرب حتـى نجحـوا فـى حيـاتهم واصبح منهم الطبيب والمهندس ، وتعودوا على زيارتـها كل يوم ، ولكن فى يوم طلبت منهم ان يقضوا الليل معها وأصرت على ذلـك فاطـاعوا .. وفـى منتصـف الليـل اسـتحمت ولبسـت أفخـر ثيـاب الخروج وسط دهشة اولادها ... ثـم أخرجت قطعـة قمـاش فـاخرة كانت قد اشترتها من القدس لتُدفَن فيها ... فرشتها على سريرها ونامت فى سلام ورشمت نفسها بعلامة الصليب وأسلمت الروح .

الملاك : لقد أوشكت لحظة انتقالك يا عزيزتى ...

قلت : ألا تستطيع أن تؤجل هذا الميعاد ولـو إلـى دقـائق ... اودع فيها هذه الحياة وأملئ نظرى من ابنتى التى مـا زلـت أحبهـا رغـم انكارها وجحودها ... أريد أن أقدم اعتذارى وأسفى الشـديد لأمـى وأبى وأخواتى وكنيستى .

الملاك : لا أستطيع إلا ان انفذ مشيئة خالقى وجابلى .

قلت : إن خالقك كلفك بمهمة شاقه بشعة وهـى قبـض الأرواح ... أكيد البشر وكل البشر يبغضونك .

الملاك : حتى ولو أبغضنى كل البشر فسعادتى ومسرتى فـى تنفيـذ إرادة إلهـى ... إن حبـه يشـبعنى ويروينـى ومعـه لا أحتـاج شيئاً .. ثم لاتنسى يا فتـاتى بـأننى صديق للقديسـين والأبـرار ... للعذارى الحكيمات والعبيد الأمنـاء . إنـهم يفرحون بلقائى ويقدمـون لى شكرهم لانى أنقلهم إلى ....

لم يكمل الملاك حديثـه لان اللحظـة المحـددة لهـذه النفـس قـد جـاءت ، فاصطحبهـا المـلاك وأراد ان يصعـد بهـا إلـى الأجـواء العالية .. ظهر بجوارها ملاك صامت حزين لم يفتح فـاه ، فسـألت عبلة عنه ملاك الموت : من هذا الملاك ؟ من أين آتى ؟

آه .... انه يهيء لى انى اعرفه من زمن بعيد .

الملاك : هذا ملاكك الحارس يا فتاتى رفيق حياتك منذ خروجك من المعمودية وإلى الآن.

قلت : ولماذا هو صامت حزين هكذا ؟

تكلم الملاك الحارس قائلا : أننى صامت لأننى تعودت الصمت خلال صحبتك ..

إننى حزين لانك لم تفرحيننى قط ...

منذ زمن طويل لم يتهلل قلبى ..

لم أجد فى حياتك فاكهة حلوة اصعدها لإلهى ، كل ما كنت أحمله اشواك و اشواك ..

لقد تحملت جهلك وبشاعة خطاياك ومع هذا فإننى لم أتخلى عنك يوماً ، لان هذه هى إرادة جابلى .

قلت : كيف ؟ كيف هذا يا ملاكى الحارس ؟

ألا تشعر أنك بهذا تظلمنى وتقسو على...

لقد أحببت زوجى من كل قلبى ، وكنت أمينة له حتى بعد أن انقلب من ملاكاً لطيفاً إلى شيطاناً مريعاً...

وهل تنسى يا ملاكى محبتى لابنتى حتى أننى بعت كليتى من أجل اسعادها ، و رغم انها انجرفت فى عبادة الشيطان ... لقد تحملت قسوتها وجحودها .

الملاك الحارس : كل حب خارج عن دائرة سيدى يسوع هو حب باطل .. ألم يقل " من أحب أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً اكثر منى فلا يستحقنى " .. لقد أنكـ ... أنكرتيه .. نعم .. هو هكذا ، وبلغ التأثر بالملاك مبلغاً عظيماً أعاقه عن استكمال حديثه .

وهنا انزعجت هذه النفس انزعاجاً عظيماً .. ترى ما الحدث ؟

انها فوجئت بهجوم قوات الرعب عليها ...

ما أبشع الأشكال ؟!

وما أرهب الوجوه ؟ !!

بدأت تتعرف عليهم ولو أن اشكالهم غير محددة المعالم .. فهذا شيطان الكذب وذاك شيطان الحلفان ، ثم شيطان محبة الذات ، الكبرياء ، والقسوة ، والنهم ، والزنى ، والشهوة .... الخ ولو جاز وصفهم باللغة البشرية فإنهم كائنات ذات شعور طويلة منكوشة لهم أذان طويلة ، وشفاه مدلاة ، اما عيونهم فإنها تقدح ناراً ، واجنحتهم كأنها مكسورة ... يطيرون فى جلبة وضوضاء مثل صوت مركبات وطائرات حربية مزعجة ... يقومون باعمال بهلوانية ، ولا تستطيع أن تميز بين ضحكاتهم وصرخاتهم ولكن المارد الجبار البشع الذى كان يفوقهم جميعا فى البشاعة والشراسة واظافره الطويلة هو شيطان الإنكار الذى أخذ

يصرخ قائلا : ابعدوا عنها أيها الملاعين.. انها ملك لى أنا .. انها عروستى ...

صرخت فزعاً ورعباً وهلعاً وقلت :

احمينى ايها الملاك .. احمينى بحق الهك .. احمينى من هؤلاء الأشرار المردة لقد أخطات .. أخطات .. أخطات ..

يا ملاكى الحارس ألا تفعل شيئا من اجلى ؟!

ألم يكلفك إلهك بحراستى ؟!!

نظر إلىّ الملاكان نظرات أسيفة ثم تركانى وعادا ادراجهما .. هجمت على قوات الرعب وهم يرقصون رقصة النصرة والفرح .. يتجاذبوننى ويطرحوننى فى الهواء ، ويصرخون صرخات الرعب تعبيرا عن ترحيبهم بى بل شماتتهم فى ، وأنا المسكينة عبلة العبدة الهبلة اصرخ واصيح :

يا سيدى يسوع المسيح يا ابن الله الحقيقى خلصنى .. وفى نظرة خاطفة لاح أمامى ملك الملوك ورب الأرباب يسوع المسيح ابن الله الحى الازلى ... ظهر بجلاله وجماله ... ما أروع منظره حتى ان الآية التى تصفه بأنه أبرع جمالا من بنى البشر لا تعبر عن جماله الحقيقى ... لاح أمامى ففزعت وهربت كل قوات الرعب ... نظرت إلى عينيه فرأيت فيهما زرقه السماء وصفائها

وروعتها وجلالها ، بل أننى رأيت فيهما صورتى أنا المسكينة الشقية الساقطة التى انكرته .. شد أنتباهى مسحة الحزن التى ارتسمت على محياة ... شاهدت معصمه وجرح المسمار كأنه جرح اليوم ، وكأنه يقول لى فى حزن والم وحسرة :

وداعا يا ابنتى الحبيبة ليلى..

لقد اشتعلت نار الحسرة والألم والندم فى روحى.. اختفى عنى فى لمح البصر وعادت سريعا قوات الرعب الشرسة .. وهنا رأيت جوفه من الملائكة تحمل روح احد العذارى الحكيمات ، وهم لا يكفون عن التسبيح والتهليل فى سيمفونية رائعة الجمال ، وفائقة الروعة .. كلما اقتربت منهم بعض قوات الرعب لإختطافها لا يقدرون لانه ليس لهم موضع فيها .. صعدت تلك النفس إلى الفردوس بينما أنا أنحدر مع قوات الرعب إلى الهاوية.

استمعت الدكتورة رفقة إلى حلم عبلة بكل جوارحها ، وتطايرت أمام عينيها علامات الأستفهام وعلامات التعجب ، وثارت الأسئلة والشكوك داخلها .. عبلة بإعتبار ما هى عليه لها أن تتحدث عن القبر وعذابه والموت وسطوته ، ولكن مالها واللص اليمين والتوبة ؟! مالها والمعمودية والملاك الحارس ؟! ما صلتها بالإنكار وشيطانه ؟! مالها والأستنجاد بربنا وإلهنا ومخلصنا

يسوع المسيح ؟! أرادت رفقة أن توجه عشرات الأسئلة إلى عبلة ولكنها أشفقت عليها نظراً لما بدأ عليها من اجهاد وحزن واكتئاب حتى وكأنها تحولت بين يوم وليلة إلى عجوز. قالت رفقة فى نفسها الوقت غير مناسب على الإطلاق للإستفسار والمناقشة فلنترك الأمر إلى الغد ، فعلقت قائلة :

يا عبلة يهئ لى أن حلمك هذا ما هو إلا نتيجة انشغال عقلك الباطن بما قصته لنا الأم أغابى بالأمس .

عبلة : لو كان الأمر هكذا يا دكتورة..فما رأيك فيما سمعته عن فوكا البستانى والأنبا ابصادى وابونا عبد المسيح المقارى...هل هؤلاء حقيقة أم اضغاث احلام ؟!

رفقة : الحقيقة يا عبلة انهم حقيقة .. غداً نتحدث معاً وسأحدثك عنهم ، ولكن الآن عليك أن تعودى إلى منزلك لأننى ارى الإجهاد قد ارتسم على وجهك وتحتاجين إلى قسط من الراحة .

عبلة : وهل فى هذه الدنيا راحة يا دكتورة ؟!

ثم تمتمت بينها وبين نفسها قائلة : " ولا فى الآخره ايضاً.. الموت .. القبر .. الأرواح الشريرة .. "

خجلت عبلة أن تترك الدكتورة بمفردها فى العيادة ، ولكن تحت الألحاح عادت إلى بيتها تجر نفسها جراً ..

الفصل الحادى عشر : محكمة العدل الإلهية

عادت عبلة إلى منزلها ومضى الوقت حزيناً كئيباً .. لا تريد أن تذهب للنوم خوفا من الأحلام المزعجة ، وبعد أن سهرت طويلاً حتى أجهدها السهر وأضناها ألقت بنفسها على الفراش ، وراحت تتقلب وهى لا تدرى هل هذه فراش أم اشواك ؟! ولا عجب فهذه اشواك الخطية . وقرب إنتهاء الليل راحت عبلة فى غفوة وإذ بها أمام حلمها الثانى ..

رأت العالم مشغول و يلهو أكثر مما كان فى أيام نوح حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع .. لقد صار العالم مثل الطائر التائه الذى لا يعلم الزمن الذى ينصب فيه الفخ هكذا جاء فخ اليوم الأخير.. وبينما يقول الجميع سلام .. سلام .. فجأة بوق رئيس الملائكة الجليل سوريال معلنا عن إنتهاء زمان هذه الحياة سمع صوت البوق جميع الأحياء وهبّ لصوته جميع الأموات.. لقد عادت جميع أرواح المنتقلين ، وهبّت الأجساد من حيث لا تدرى ، كل روح تعرفت على جسدها ودخلت فيه وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والهاويه الأموات الذين فيها ، قام الأموات باجساد لن تحتاج إلى مأكل أو مشرب أو ملبس فيما بعد ...

اجساد ممجدة فإكتسب الإنسان معرفة عظيمة حتى صار كل واحد يعى و يعرف ملايين ملايين الحقائق والأشخاص ... اجساد ممجدة ظهرت قوية واختفى كل ضعف وكل هزال وكل مرض وكل عاهة وكل ضعف بشرى .. أجساد ممجدة حيث ظهر الإنسان فى أبهى صورة كان عليها فى أفضل مراحل عمره على الأرض .. الكل قد صار شبابا وسيظل على هذه الصورة إلى الأبد ... لن تكون شيخوخة أو ضعف فيما بعد .... وجميع الذين على الأرض تغيرت هيئتهم فى لحظة..

يا لروعة المنظر؟!

ويالعظمة القدرة والقوة ؟!

إن قوة الله تجلت فى قيامة الأموات ... انه يوم القيامة بدأت نجوم السماء تتساقط محدثة بروق ورعود لا يحتملها البشر وهوذا علامة الصليب تظهر فى الأفق واضحة جلية منيرة ببهاء ولمعان اكثر من الشمس .. وإذ الشمس ينطفئ نورها تماماً ، وقوات السماء تتزعزع ، والأرض تتزلزل وترتعد والجزائر تهرب ، والسماء تنغلق مثل درج ملتف .

أين المبانى الشاهقة والمنشات العظيمة ؟ أين القصور الفخمة و الأكواخ البسيطة ؟

أين مساكننا التى تعبنا فى اقتنائها و مقتنياتنا التى أضعنا العمر من اجلها ؟

أين الطرق والجسور و الكبارى و المطارات والموانى ؟

أين السيارات و القطارات والسفن والطائرات ؟

أين الشمس والقمر والنجوم ؟

أين ؟ وأين ؟ وأين ؟...

هوذا الكل قد زال واصبح حطاماً .. لقد تحطمت الكرة الأرضية وما عليها ، بل انها فقدت جاذبيتها الأرضية ، والكل قد صار حراً من هذه الجاذبية ..

وهنا ظهر مجد عظيم .. مجد ملك الملوك ورب الأرباب .. القوات الملائكية بأعداد لا تحصى بقوة ومجد . كثيرون يهتفون هتاف النصرة والفرح والخلاص ، وتجاوب هتاف العبيد الأمناء والعذارى الحكيمات الذين انجذبوا للعريس السماوى مع هتاف السمائيين.. هؤلاء الأمناء الذين إقتاتوا من جسده وإرتوا من دمه حتى اخذوا صورته .. لقد شكّلوا جميعا فريقاً موسيقياً رائع الجمال والكمال .

غير المؤمنين الذين انكروا الصليب واضطهدوا حامليه صاروا فى حزن رهيب..والذين رفضوا المصلوب واحتقروا احضانه

المفتوحة صاروا فى حسرة وضيق .. واكثر من هذا وذاك الذين طرحوا صليبهم مثلى وانكروا مسيحهم من أجل يوم لذة .. من اجل شهوة أوشهرة .. من أجل مكسب ترابى .. من أجل الهروب من مشكلة أو مشاكل زمنية...

اخذنا نبكى وننوح مع القبائل قائلين :

أهكذا هى الحقيقة ؟.. لم نكن ندرى ... لقد خدعتنا ايها الشيطان اللعين .. ملعون أنت يا إبليس ...

لقد صرنا نحن العبيد البطالون نملأ الكون صراخاً وضجيجاً وخوفاً وهلعاً .. ملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر أخفوا انفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال وهم يقولون للجبال اسقطى علينا واخفينا من وجه الجالس على العرش ومن غضب الخروف لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف .

اما الشياطين فقد صنعوا جلبة ما بعدها جلبة ... لقد كانوا من قبل مملكة قوية منظمة اما الآن فقد انهارت هذه المملكة وانقسمت على ذاتها وليس أمامها إلا الخراب والدمار والعقاب الإلهى العادل .. صار الشياطين الصغار يصرخون فى وجوه رؤسائهم الذين اغروهم بالمخالفة ، ورؤسائهم يصرخون فى

وجه سطانئيل سبب اللعنة والكارثة ، والجميع يصرخون : ملعون أنت يا سطانئيل أيها المخالف .. أيها المتكبر .. أيها الشرير .. ملعون أنت أيها الكذاب .. أيها المخادع .. أيها الحية القديمة .. لقد جذبتنا معك للهلاك الأبدي .. هوذا بحيرة النار والكبريت المعدة لك و لنا ..

وهنا صدر الأمر الإلهى بتنفيذ العقوبة الأبدية على إبليس وجنوده ، فطرحهم ميخائيل وملائكته فى بحيرة النار والكبريت .. ثم وقف كل بشر امام الملك الديان فى ساحة العدل الألهية ، وفتحت الأسفار .. كل إنسان منا رأى سفره أمام عينيه مدون فيه جميع أقواله وأعماله ما أظهر منها وما أبطن ... وقف الجميع فى ذهول وقد إنعقدت ألسنتهم ...

ولكن ما بال الكثيرون وقد ظهرت أسفارهم بيضاء ؟! هل من المعقول انهم لم يصنعوا خطية قط ام انهم محاسيب ؟! .. لا هذا ولا ذاك .. ولكن الحقيقة أن جميع الخطايا التى قدم الإنسان عنها توبة وإعترف بها مُحيت من السفر ، والعجيب أن السؤال المدون فى سفرى لم يكن : لماذا اخطأتِ ؟ بل كان : لماذا لم تقدمى توبة عن خطاياكِ ؟

كل إنسان ينظر إلى سفره وينجذب إلى مكانه .. شعرت إننى أنجذب بعيداً عن الملك المسيح ، فأشرت بيدى للملك الديان أريد أن احتج لديه فسمح لى ... تشجعت ومنطقت ذاتى ووقفت اعترض أمام الديان العادل قائلة : يا سيدى أنت الذى أودعت داخلى عاطفة جياشة بها عشقت هيثم وضاعت حياتى .

الملك الديان : يا ابنتى .. لقد أودعت الجميع العاطفة بدرجات متفاوته ، وهناك الملايين كانت لهم عاطفة جياشة أقوى من عاطفتك كثيراً ، فليس العيب فى العاطفة ولكن العيب فى الإستخدام الخاطئ للعاطفة .. الحب الزيجى كان مجالاً صحيحاً لإستخدام هذه العاطفة ، والحب العائلى كان مجالاً خصباً لممارسة هذه العاطفة التى تجعل الحياة أكثر سهولة وجمالاً ، وقبل هذا وذاك الحب الإلهى الذى يسهل طريق الملكوت يحتاج لهذه العاطفة الجياشة .

قلت : إننى أشعر انك لم تُودع فىّ شيئا صالحاً يشدنى إلى الملكوت .

الملك الديان : لقد وهبت لك المعمودية فكتبت اسمك فى ملكوتى ، ولكن بتصرفاتك شطبت اسمك من سفر الحياة .. دهنتك بزيت

الميرون فصرت مسكناً لروحى القدوس ، ولكنك رفضت صوته ولم تصغى لمشورته .. منحتك جسدى ودمى لتثبتى فى ولكنك لم تقتربى منهما .. تركت لك كلامى الذى يقودك للحياة الأبدية ، ولكنك اغفلتيه للأبد .. فتحت لك باب الكنيسة ولكنك أغلقتيه أمام نفسك ، وهبت لك الصحة والجمال والعقل والحواس .. خلقت لك رجلان تقودانك لطريق الخير ، ويدان تعملان الخير ، وعينان تنظران للسماء ، واذنان تسمعان وصايا الإنجيل ، ولسان يسبحنى ويبارك الناس ، وفكر تستأثريه لطاعتى .. فماذا فعلت بهذه الوزنات ؟ وماذا فعلت بوزنة الوقت ؟ وكّلت لك ملاكاً حارساً ليحرسك طوال العمر على الأرض وليصعد أعمالك الحسنة .. آلم تحزنيه بتصرفاتك ؟!

قلت : لماذا لم تخلقنى روحاً مجرداً من الجسد ؟ .. ملاكاً أعاين مجدك وعظمتك .. آه لوخلقتنى هكذا ما كنت سقطت أبداً ولا عصيتك ولا استحققت هذا العقاب الأبدى .

الملك الديان : كان هناك جمع غفير من الملائكة الذين عاينوا مجدى ورغم هذا فقد سقطوا فى الكبرياء ، وهوذا أنت تبصرينهم فى بحيرة النار والكبريت .

قلت : لماذا منحتنى الحرية الشخصية التى أضعت بها نفسى ؟ ولماذا لم تسوقنى قسراً إلى الملكوت ؟

الملك الديان : لو حرمتك من الحرية الشخصية لشابهت الحيوان الأعجم ، ولو صرت مثل الحيوان المَصيَّر فبأى فضل لك ولماذا أكافئك بالملكوت ؟ لا تنسى أننى خلقتك على صورتى ومثالى فكيف أحرمك من اكرم شىء وهو الحرية الشخصية .

قلت : لست أنا المسئولة الوحيدة عن أخطائى .. تدليل أمى أفسد حياتى ، وانشغال أبى فى تجارته اتاح لى فرصة الأنحراف .. انهما شركائى فى الجريمة .. أليس كذلك ؟

الملك الديان : نعم هو كذلك .. وكل منهما نال عقابه الزمنى ... لقد تحملا الآم العار والفضيحة وفداحة الخسارة ، اما عقابهما الأبدى فقد أعفيتهما منه .

قلت : لقد أعفيتهما من العقاب الأبدى ، فلماذا لم تعفينى أنا ايضا من هذا العقاب المريع ، ولاسيما أننى تحملت الكثير والكثير من العقاب الزمنى ؟

الملك الديان : لقد اعفيتهما من العقاب الأبدى لأنهما قدما توبة عما بدر منهما من تهاون فى رعايتك وحسن تربيتك ، وعما قدماه من تدليل أفسد حياتك .. بالتوبة والأعتراف غفرت

خطاياهما ، والآن لهما ان ينعما بالملكوت .. اما أنت يا ابنتى فإنك لم تقدمى توبة ولم تعودى إلى احضانى .

قلت : ولماذا لم تدفعني للتوبة ؟

ولماذا لم تحضنى عليها ؟

الملك الديان : يا ابنتى..هل نسيت الصوت الخفى الذى كان يتكلم فى داخلك مراراً وتكراراً...صوت الروح أسكتيه ، ونوره أطفئتيه.. كم مرة ناديتك من خلال الأحداث والحوادث ولم تستجيبى ؟

قلت : ألم تسمع عن الخدام الذين إهتموا بمصالحهم الشخصية على حساب خدمتك فلم يفتقدوننا ويدعوننا إليك ؟ ألم ترى النزاعات التى كانت تنشأ فى الكنائس عن أمور مختلفة ، وقد نسوا خلاص النفوس ؟ أليس هؤلاء الخدام شركائى فى المسئولية؟

وهنا لم يجاوبنى رب المجد ، بل أرانى لفيف من الخدام واقفون فى انكسار وخزى عظيم ، وسمعت صوت ملاك يقول :

هؤلاء الذين أحبوا الفلوس أكثر من النفوس ...

هؤلاء الذين إستبدلوا تجارة الروح والروحيات بتجارة الجسد والجسديات ...

هؤلاء الذين لم ينفِقوا ويُنفَقوا فى أجل خدمتهم ...
هؤلاء الذين بحثوا عن راحتهم فضلت رعيتهم ...
هؤلاء الذين فضلوا التنعم عن التعب ، والنوم عن السهر ، والطعام عن الصوم ، والراحة عن الجهاد الحسن ، والضحك والإستهزاء عن الدموع ، والكبرياء عن التواضع ...
هؤلاء الذين تصالحوا مع العالم وأدخلوا أساليبه وتجارته فى كنيستى فتخاصموا معى ...
هؤلاء الذين تركوا الرعية للذئاب الخاطفة والكلاب المسعورة .
قلت : يا يسوع ملك المجد .. هل تسمح لى بأن اقول لك بإن طريقك كان كرباً وبابك كان ضيقاً ، وبضاعتك لم تجذبنى ، وهذا لايتفق مع طبيعتى البشرية التى تحب التسيب والإتساع ..
لماذا لم تعلن مجدك لنا وعندئذ كنا سنلقى بانفسنا فى احضانك ؟

الملك الديان : حقا يا ابنتى ان طريقى كان كرباً وبابى كان ضيقاً وقد سبقت وأعلمت الجميع بهذا وقلت " أن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص " ، وحذرت من الطريق المتسعة الشيطانية التى تقود إلى الهلاك .. كما أننى لم اترك ابنائى بمفردهم فى الطريق الكرب ، لكننى كنت معهم فى الضيقة .. إسألى الثلاث فتية القديسين فى اتون النار ، ودانيال فى جب الأسود ، وبولس

وسيلا وهما فى السجن ، ومارجرجس فى وسط الأتون ..
أنا الذى تحملت الآم القديسين وعذابات الشهداء كانت محسوسة عندى ، فى كل ضيقتهم تضايقت وأرسلت ملاكى فخلصهم ...
عندما كانت تزيد الآلام عن طاقتهم كنت افتح لهم طاقات السماء فيعاينون الأمجاد السمائية التى تنسيهم الآماتهم وعذاباتهم ...
لقد عاشوا فى كرب وضيقة عظيمة ولكنهم كانوا ينعمون بعربون أمجادى ، وتعذياتى كانت تسندهم .. حقا إن نيرى كان هيناً وحملى كان خفيفاً لأنى خملت معهم الصليب ، ولم أنسى قط تعب محبتهم حتى ولو كان يسيراً.. كأس ماء بارد لم أنساه لأحد منهم .

قلت : هل نحن الذين جزنا فى بحر المعمودية وخالفناك مازلنا أبناء لك ؟

الملك الديان : نعم .. ولكنكم تنكرتم لهذه البنوة

قلت : فلماذا لا تعيدنا للأرض فى فترة إختبار ثانية ؟

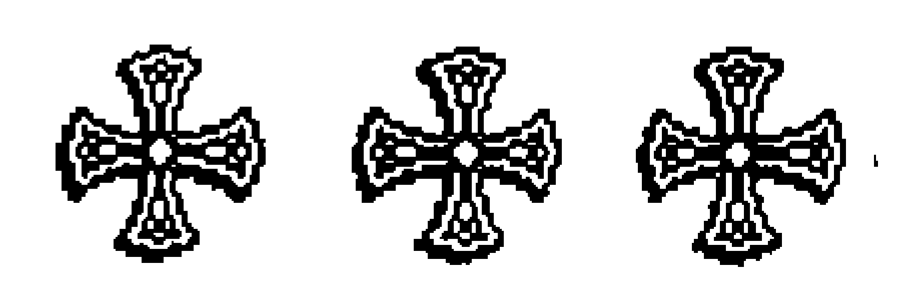
الملك الديان : أنتم كنتم فى فترة اختبار ، وكنتم تعلمون أنها لن تتكرر ، ومع هذا فقد تهاونتم بالأبدية ...

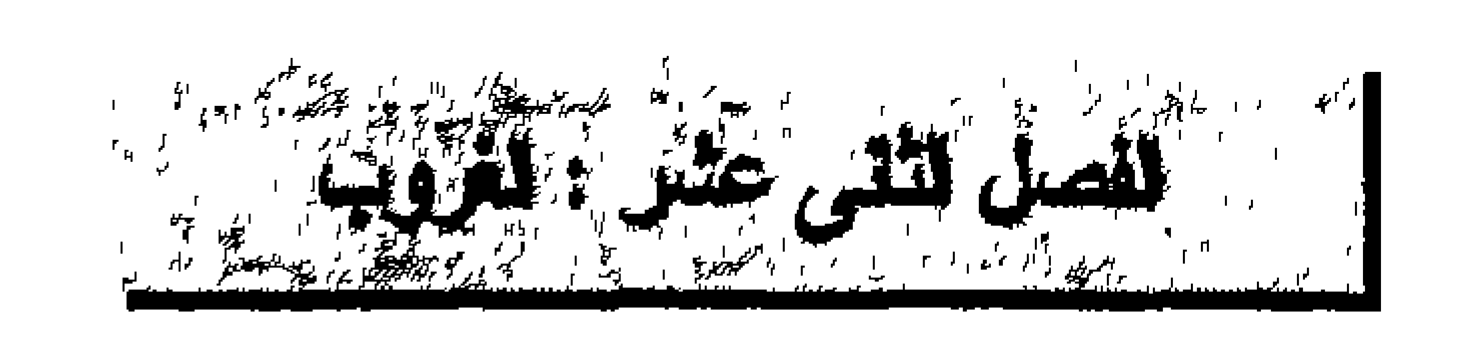
بعد هذا لم تجد ليلى ما تدافع به عن نفسها بل حكمت على نفسها بأنها مستحقة للعذاب الأبدى

هجم عليها ملاك مرعب وحملها إلى جهنم حيث وجدت جموع غفيرة فى بؤس وشقاء وعذاب عظيم يصرخون ويتأوهون .. البعض تصل النار إلى اقدامهم ، والبعض إلى وسطهم ، والبعض تغمرهم .. أما الدود الشرس الذى لا يموت ولا يتأثر بالنار فإن طوله يصل إلى طول الثعبان الضخم ، والعجيب أن هذه النيران لا تقوى على إضاءة المكان المظلم ، ولم تقدر على اجلاء البرودة وصرير الأسنان ، وكلما انحفض لهيب النيران يهبط ملاك ويضرب الجحيم بسيف من نار فتضطرم هذه النيران وترتفع ألسنة اللهيب . . .



لت تدعو للوليمة كل خاطئ يارحيم . . . فلمواعيد لكريمة صوت حب للأثيم
نبح لعجل لمسمن فتعلوا يا خطاة . . . فهو قوت لا يسمّن لخطاة وعصاه
لكم لثوب تهيئ فلبسوه فرحين . . . ولخلوا عرساً بهياً ثم كونوا شاكرين
بكم لسماء تفرح يا خطاة تائبين . . . وله لمجد يفتح لكم لباب الآمين
مدّ آيدى للطف ربى فلتبعوه مؤمنين . . . فى خضوع ثم حب للمخلص الآمين





الفصل الثانى عشر : الغروب

لم تحتمل عبلة فى حلمها أكثر من هذا فإستيقظت منزعجة ، وجدت دموعها قد سالت وفاضت حتى بللت فراشها .. أما جسدها فهو أشبه بجثة هامدة فلم تقوى على النهوض ...

فى منزل الدكتورة رفقة رن جرس التليفون ، وإذ على الجانب الآخر إحدى جارات عبلة تعلن نباء الإنتقال المفاجىء للسيدة عبلة . لم تكد الدكتورة أن تضع سماعة التليفون حتى رن الجرس الثانى من دير القديسة فيرونيا يحمل نباء انتقال الأم الفاضلة أغابى .. اغرورقت عينى الدكتورة بالدموع وهى لاتدرى أيهما تبكى عبلة أم الأم أغابى ؟

ومع هذه الدموع تسيل دموعنا تبكى كل عبلة تسقط ، وكل خروف يضل

وهكذا كان غروب الحياة ....

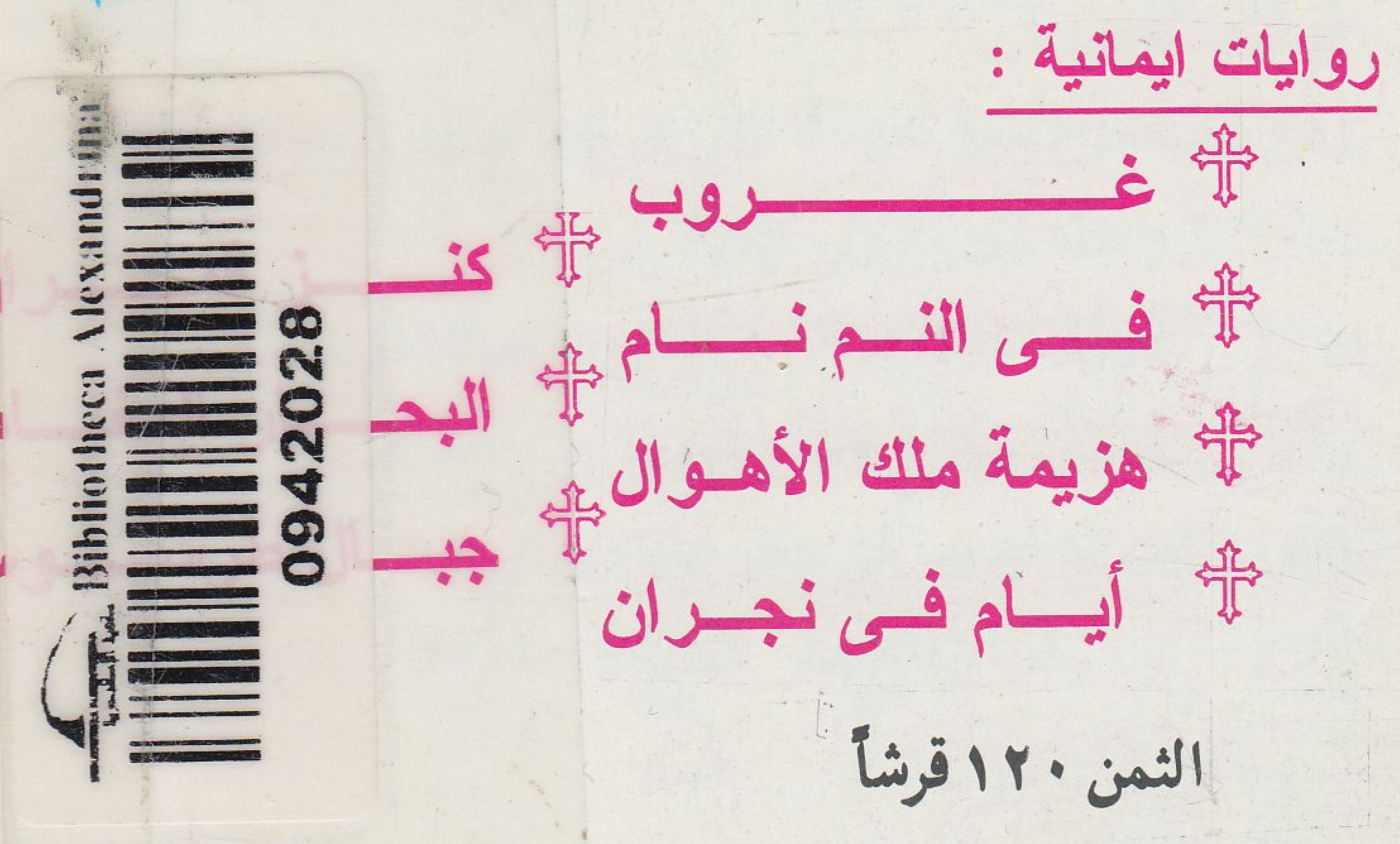
غروب حياة عبلة ... غروب حياة دميانة ....

وشتان بين غروب وغروب .... هذه هى الحياة....

وطوبى لمن له نصيب فى حفل عشاء الحروف .

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٣٥٥٥ / ٩٧

قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من اخميم



روايات ايمانية :

- غـــروب
- فـى النم نــام
- هزيمة ملك الأهـوال
- أيـام فـى نجـران
- كنـ
- البحـ
- جبـ

الثمن ١٢٠ قرشاً